رايات النصر وجيوش الشمس

«ملحمتي حرب الاستنزاف والعبور العظيم»

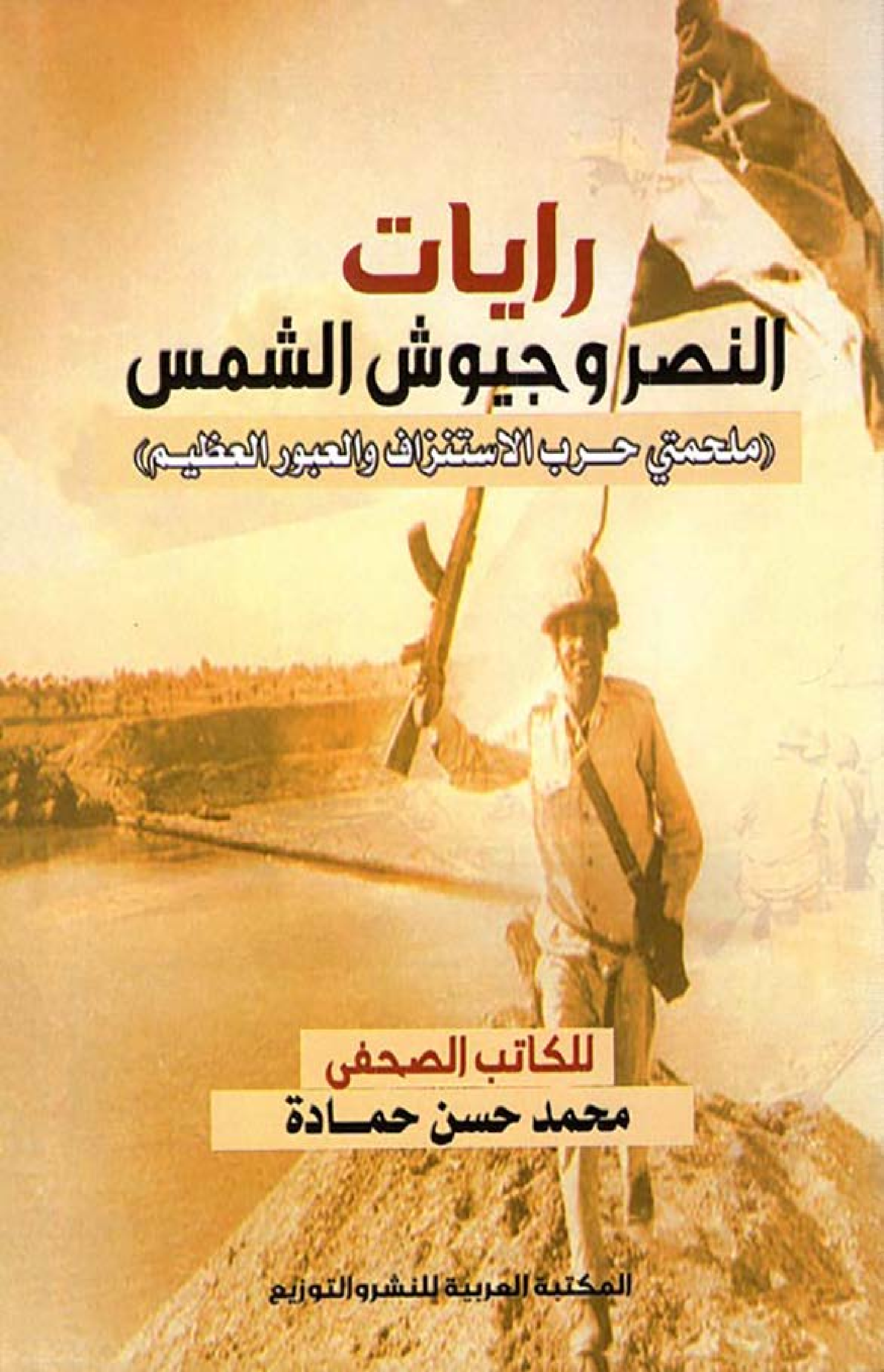

للكاتب الصحفي
محمد حسن حمادة

المكتبة العربية للنشر والتوزيع

رايات النصر وجيوش الشمس

رايات النصر وجيوش الشمس

ملحمتي حرب الاستنزاف والعبور العظيم

الكاتب الصحفي

محمد حسن حمادة

رايات النصر وجيوش الشمس

اسم الكاتب: محمد حسن حمادة
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: وجيه أبو عادي
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى
رقم الإيداع: 2018 / 23735

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

إهـــداء

" إلي أبي عضدي وسندي بعد الله سبحانه وتعالي أطال الله عمره إلي أمي حضن المودة والحنان حفظها الله إلي أخي توأم روحي وشقيق قلبي ووزيري إلي إخوتي البنات رياحين وزهور حياتي إلي زوجتي الغالية زهرة عمري إلي أولادي مريم وحسن قرتا عيني أهديكم كتابي. " رايات النصروجنود الشمس".

المقدمة

قبل مايقرب من ٤٥ عاماً انطلقت جيوش الشمس لتحلق في الفضاء لامست عنان السماء عانقت بكبرياء الملائكة والشهداء أقسمت لهم بأغلظ الأيمان سننتصر لن نكون الجيل الأسوء في تاريخ مصر عقدوا العزم والنية للثأر لمصر شعباً وجيشاً لمحو عار نكسة ١٩٦٧ وإزالة ركامها وحطامها وإزاحة ستار الليل الأسود والقبض علي خيوط النهار الجديد.

انطلق جند الله أبطال الجيش المصري البواسل خير أجناد الأرض يزرعون أرواحهم بذورًا بين كثبان أرض الفيروز ورووها بدمائهم الذكية حتي تنموَ أعلامًا خفاقةً ترفرف فوق أرض سيناء لاسترداد الأرض والعرض والوطن والكرامة لتحصد مصر النصر في ملحمة أسطورية سطرت بدماء الشهداء وبعزيمة وإرادة الأبطال الذين صنعوا المعجزة وقهروا الجيش الذي لايقهر وعبروا أكبر مانع مائي في العالم" قناة السويس "ودمروا خط بارليف الحصين أقوي مانع دفاعي في التاريخ العسكري بعد خط ماجينو الذي شيدته باريس أثناء الحرب العالمية الثانية علي حدودها مع المانيا لمنع هتلر من غزو فرنسا في ست ساعات (!)

هل يعقل أن ينهار خط بارليف بزخات المياه(!)؟

وهل يعقل أن تنهار أقوى التحصينات وأحدث الدبابات والمدافع وترسانة الأسلحة الإسرائيلية وتحترق مركبات العدو بالقذائف الخفيفة والقنابل اليدوية؟

أما ماهو أغرب من الخيال ويعجز العقل عن تصديقه أن ثمانية آلاف مقاتل مصري من قوات الصاعقة والمشاة يدحرون أكثر من ٥٠ ألف صهيوني

في ست ساعات(!) ويقتلون ويأسرون كل من تحصن في الدشم والمواقع المنتشرة على طول ١٧٥ كيلومتر شرق القناة؟

ناهيك عن حالة الرعب التي دبت في قلوب الصهاينة بمجرد أن سمعوا صيحات "الله أكبر" التي زلزلت الأرض من تحت أقدامهم وخلعت قلوبهم فكانوا يهرولون كالفئران المذعورة ويصرخون كالنساء بينما الجندي المصري يتسلق خطهم "المنيع"، وبيسر وسهولة يحصد رؤسهم في حصونهم وأبراجهم المشيدة فقد توهمت إسرائيل أن الغرف الحصينة ستعصمهم من غضبة الجندي المصري عندما يثأر لكرامته، في تلك السويعات تغير طعم التاريخ.

وحتى ننسب الفضل لأهله لا نستطيع العبور إلى نصر أكتوبر حتى نمر على نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧،التي كانت عقاباً أميركياً على نجاح عبد الناصر في بناء نموذج ثورى واقتصادى واجتماعي ناجح ليس للعالم العربي فحسب بل لكل دول العالم الثالث مما شكل خطراً جسيماً على المشروع الصهيو أميركي في المنطقة.

فكانت حرب الإستنزاف التى قادها ناصر بحكمة واقتدار هذه الحرب المنسية والمظلومة في تاريخ مصر العسكري بل في التاريخ المصري بشكل عام كانت هي اللبنة الأولي والأساسية لمشروع العبور العظيم وخير شاهد ودليل علي ذلك بعد وفاة ناصر دخلت مصر حرب أكتوبر بكل آليات النظام الناصري سواء في مجال التنمية أو في المجال العسكري ففي مجال التنمية دخلت مصر الحرب بنفس القطاع العام الذي صنعه ناصر وفي المجال العسكري دخلت مصر حرب أكتوبر بنفس الجيش الذي أعاد بناؤه ناصر وبنفس الخطط العسكرية التي وضعها ناصر تقريباً والأهم بحائط الصواريخ الذي دشنه ناصر الذي قضي علي الذراع الطولي للعدو الصهيوني وأوقف العربدة الإسرائيلية

في سماء مصر وعمقها الداخلي فكانت حرب الاستنزاف هي طريق العبور الأول لنصر أكتوبر العظيم.

شتان بين الأمس واليوم فبالأمس كان العرب علي قلب رجل واحد فدعموا مصر في حربها ضد الصهاينة فقامت اليمن بغلق بوغاز باب المندب بمدمرتين وأرسلت ليبيا والمغرب والجزائر وتونس والعراق والسودان والأردن الأسلحة والعتاد والجنود،أما دول الخليج فقاموا بمد مصر بالأموال لشراء الأسلحة.

وكان القرار العربي الأخطر والأجراء في تاريخ العرب الحديث ، وقف ضخ النفط إلي الدول الغربية التي تساند إسرائيل وتدعمها معنوياً أو بالسلاح بقرار الملك فيصل التاريخي بحظر المملكة العربية السعودية تصدير النفط إلى الدول الداعمة للعدو الإسرائيلي ليقود الملك فيصل معركة البترول، فخفضت المملكة إنتاجها من النفط بنحو ٣٤٠ مليون برميل اعتباراً من أكتوبر حتى ديسمبر١٩٧٣ ، تبعتها الدول الخليجية والعربية المصدرة للنفط، مما ساهم في ارتفاع أسعار النفط من ٣ دولارات إلى ١١ دولاراً للبرميل بسبب النقص الفعلي والاندفاع إلى التخزين، واستمر هذا الحظر حتى مارس ١٩٧٤.

من رحم الهزيمة ولد النصر وتحت ، راية "الله أكبر" وحدها خاض العرب معركة الكرامة فاكدت حرب أكتوبر أن العرب إذا اتحدت إرادتهم غيروا مسار التاريخ ليكون نصر أكتوبر تجسيداً لانتصار الإرادة العربية...

الكاتب الصحفي محمد حسن حمادة...

الفصل الأول : من الإنكسار إلى الإنتصار

(المبحث الأول)

محاولة وأد الحلم وكسر إرادة الشعب المصري

في بلادي هناك من يصنعون النصر وغيرهم يحمل أكاليل الغار، في بلادي يسقط الشهداء وهناك من يتاجر بدمائهم الزكية، فهذا ما ورثناه من تركة أجدادنا الفراعنة " عاش الملك مات الملك" ، ففي حياة الفرعون يقدسونه ويؤلهونه وبعد وفاته يطمسون كل آثاره وإنجازاته بل يضع الفرعون الجديد خرطوشه على معابد ومسلات سلفه وينسب لنفسه ميراث وإنجازات غيره، لنجد أنفسنا بين من يُحمل "عبد الناصر" هزيمة ١٩٦٧ وحده وينسى أو يتناسى إعادته بناء القوات المسلحة ودوره في حرب الإستنزاف التي كانت الخطوة الأولى نحو طريق النصر، وهناك من يتغنى بدور السادات وينسب له النصر بالكامل، وفي عهد مبارك وجدنا جوقته تختزل نصر أكتوبر في الضربة الجوية بل ومنحوه لقب السادات بطل الحرب والسلام سرقة وزوراً وبهتاناً وتزييفاً للحقائق .

وللتاريخ والإنصاف كان الصانع الأول لنصر أكتوبر هو الجندي المصري وآلاف الشهداء وعشرات بل مئات من القادة والضباط .

فالجندي المصري هو الذي وقع عليه العبء الأكبر في هذه الحرب للعبور من براثن الهزيمة إلى شاطيء النصر، والمفارقة أن الجندي المصري كان خارج حسابات العدو الصهيوني ليقوم بتغيير المعادلة حيث إستطاع إقتحام أكبر حصن دفاعي عرفته البشرية، فدمر ٢٢ موقعاً حصيناً منه و ٣٤ نقطة

قوية للعدو، أما البطل الأول لهذه الحرب فهو بلا جدال الشعب المصري الذي تحمل الآلام والجراح وقاسى من ويلات وتبعات الحرب وخاصة على الصعيد الإقتصادي.

أما أن نختزل حرب أكتوبر في رئيس أو بعض القادة أو بعض الأسلحة دون غيرها فهذا ظلم بيّن، فلا يجوز أن نسمح لكائن من كان أن يتاجر بالنصر أو ينتزعه عن بعض القادة ويطوق به أعناق آخرين أو يتغافل عن دور الجندي المصري الشجاع الذي كان كلمة السر في حرب أكتوبر.

حرب أكتوبر هي الحرب الأضخم ميدانياً بعد الحرب العالمية الثانية، فهي الحرب التي قلبت موازين العالم العسكرية رأساً على عقب فقد تم فيها تنفيذ أكبر معركة جوية قتال متلاحم لأكثر من ٥٣ دقيقة وعلى الأرض شهدت أكبر معركة بالمدرعات شهدها العصر الحديث بإجماع الخبراء والمحللين العسكريين.

هي الحرب التي نسفت نظرية الذراع الطولي لإسرائيل فقد كانت إسرائيل تمتلك قوات جوية حديثة تستطيع أن تصل إلى داخل العمق المصري فأنشأت مصر قوات الدفاع الجوي وبنت مصر حائط الصواريخ لحماية الأجواء المصرية وجعلها أكثر أمناً يصعب إختراقها .

هي الحرب التي كسرت كبرياء إسرائيل وأذلت هامتها، ظهر ذلك جلياً في إعترافات "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق في كتابه " ديان يعترف " قائلاً بمرارة : " أريد أن أصرح بمنتهى الوضوح بأننا لا نملك القوة الكافية لإعادة المصريين إلى خلف قناة السويس مرة أخرى، فالمصريين يملكون سلاحاً متقدماً ويعرفون كيفية استخدامه ضد قواتنا ولا أعرف مكاناً

آخر في هذا العالم محمياً بكل هذه الصواريخ كما هو في مصر. لقد ظهرنا أمام العالم بأننا نمر من ورق "

تهاوت أسطورة العدو الصهيوني أمام العالم وشكلت الحرب والهزيمة صدمة نفسية للشعب الإسرائيلي ولقادته لدرجة أن " جولدا مائير" كادت أن تُقدم على الإنتحار، وكانت استغاثتها بـ "كيسنجر" لإنقاذ ما يمكن إنقاذه لأكبر دليل على عمق الزلزال الذي أحدثه عبور أكتوبر.

وقبل أن نعبر إلى آفاق النصر، لابد أن نتذكر آلام الهزيمة ومرارتها التي كانت الوقود والدافع لشحن بطاريات الإرادة المصرية وتصحيح المسار وتلافي الأخطاء حتى نتذوق حلاوة النصر وآماله .

(المبحث الثاني)
بطل النكسة والإستنزاف

تجرعنا مرارة الهزيمة كانت كالغصة في حلوقنا، فعقب إغلاق " جمال عبد الناصر" لخليج العقبة أمام السفن الصهيونية بعدما تأكد من حلفائه الروس أنباءاً عن حشد إسرائيل لحشود ضخمة على الحدود السورية، رد عبد الناصر على الفور بترحيل قوات الطواريء الدولية في سيناء وإحلال الجيش المصري في مواقعها ، فما كان من إسرائيل إلا أن قامت بشن ضربات جوية على مصر وسوريا والأردن في يونيو ١٩٦٧، في الساعة الثامنة وخمس وأربعون دقيقة، لكن قبلها بسبعين دقيقة قامت إسرائيل بهجوم بري على الحدود المصرية واستطاعت احتلال موقع متقدم داخل الحدود تصدت له سرية مشاة مدعمة بمنطقة أم بسيس الأمامية كجس نبض للجيش المصري.

في كل المعارك التي خاضها العرب ضد إسرائيل لم تحاربنا إسرائيل بمفردها بل كانت تدعمها قوة عظمي تساندها وتمدها بالأسلحة والعتاد والدعم اللوجيستي لتضمن لها التفوق علي العرب مجتمعين. وبعد مرور أكثر من نصف قرن مازالت تتكشف الحقائق لاأحاول هنا أن أدافع عن عصر أو نظام بل نحاول كشف الحقيقة لوضع الأمور في نصابها ونترك للقارئ الحكم والتعليق. لم تكن نكسة ١٩٦٧. مؤامرة إسرائيلية بل مؤامرة دولية غربية حِيكت وحُبكت ضد مصر ،قادتها الولايات المتحدة الأمريكية لصالح إسرائيل كجزء من الحرب الباردة بين الأمريكان والإتحاد السوفيتي السابق. ملعبها الشرق الأوسط. المكان قبالة السواحل المصرية. الزمان يونيو ١٩٦٧. الأداة المدمرة الأمريكية ليبرتي وتحتها الغواصة الذرية الأمريكية أندرو جاكسون.

المهمة... كانت المهمة من أغرب مايمكن المفترض أن واشنطن أرسلتها للتجسس علي مصرولدعم ومساندة إسرائيل لكن أن يقوم الطيران الإسرائيلي بقصف المدمرة ليبرتي ويسفر الهجوم علي المدمرة الذي استغرق ٤٠ دقيقة عن مقتل مايقرب مايقرب من ٤٠ أميركي وإصابة ١٧٠ جندياً أمريكياً علاوة علي الأضرار الجسيمة التي لحقت بالمدمرة فهذا مما لايصدقه عقل. بررت إسرائيل ذلك الهجوم آنذاك بأنها كانت تستهدف السفينة الحربية المصرية (القصير) ولكنها أخطأت وضربت المدمرة الأمريكية عن طريق الخطاء. رد الفعل الأمريكي مازال يثير جدلاً واسعاً حتي الآن علي الرغم من مرور أكثر من نصف قرن علي الحادث الأخطر في تاريخ العلاقات الأمريكية الإسرائيلية ومنطقة الشرق الأوسط والمثير للدهشة والشكوك بل وللشفقة أيضاً هذا التعتيم الأمريكي لهذا الحادث حتي لايصل لمسامع الشعب الأمريكي بالرغم من المحاولات المستميتة التي قام بها الناجون من الحادث ومطالبتهم للكونجرس الأمريكي بفتح تحقيق شامل لهذا الحادث، لكن الرئيس الأميركي "جونسون" ووزير دفاعه آنذاك "روبرت ماكنيمارا" كانا يتصديان لكل هذه المحاولات حتي بأت بالفشل بل وطالبا بسرعة انهاء التحقيقات الأولية والضغط علي المحققين حتي يتبنوا وجهة نظرهما "بأن الحادث ناجم عن التباس في هوية السفينة". لكن البحارة الناجون ينكرون هذا الإدعاء ويرفضون هذه النتيجة ويؤكدون أن المدمرة كان علي ظهرها ثلاثة أعلام فكيف لم يشاهد الطيارون الإسرائيليون أياً من هذه الأعلام.

في عام ٢٠٠٣. أجرت لجنة تحقيق أمريكية خاصة تحقيقاً مستقلاً عن الحادثة كانت النتيجة التي توصلوا إليها كما جاء في تقرير اللجنة "أن الهجوم علي المدمرة "ليبرتي" هو الحادث البحري الأخطر في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية وهو الحادث الوحيد الذي لم يجر فيه الكونجرس الأمريكي تحقيقاً

عميقاً(!)". في نفس العام ٢٠٠٣ يطرح الصحفي الأميركي "بيترهونام" في كتابه الشهير"العملية سيانيد" قنبلة من العيار الثقيل اتهم بيترصراحة الحكومتين الأمريكية والإسرائيلية بقصف السفينة لإلقاء اللوم على مصر وحلفائها السوفيت لتبرير رد فعل كاسح تقوم به واشنطن يضمن التفوق لإسرائيل(!) ترى ماهو رد الفعل الكاسح الذي ستقوم به واشنطن ضد مصر لضمان تفوق إسرائيل؟ كانت خطة التحالف الصهيو أميركي آنذاك إغراق المدمرة "ليبرتي" ثم اتهام مصر بإغراقها علي آثر ذلك تقوم واشنطن بتجهيز سرب طائرات فانتوم أمريكية يقلع من إحدي القواعد العسكرية الأمريكية في البحر المتوسط وتحديداً من إيطاليا يتوجه إلي القاهرة وعلي متنها قنابل ذرية تقصف بها مصر وخاصة مطار غرب القاهرة لأن الرئيس الأميركي "جونسون" ورئيس الوزراء الإسرائيلي "ليفي آشكول" كانا علي قناعة تامة بوجود قاذفات سوفيتية به وبذلك يضربان عدة عصافير بحجر واحد، أولاً تركيع مصر ثانياً إسقاط نظام عبدالناصر ثالثاً الإنتصار علي السوفيت والأهم تمكين إسرائيل بمنطقة الشرق الأوسط بعد إخضاع مصر.

كانت القاهرة ستضرب بالقنابل النووية علي غرار ماحدث في "هيروشيما ،ونجازاكي" اليابانيتين لكن كان للقدر كلمة أخري فلم يدر بخلد الأمريكان وحلفائهم الصهاينة أن سفينة تجسس سوفيتية قابعة بالبحر المتوسط سترصد عملية قصف الطيران الإسرائيلي للمدمرة "ليبرتي" بعدما أثار وجود الغواصة "أندرو جاكسون الذرية" الراقدة تحت المدمرة ليبرتي شكوك السوفيت فأبلغت القيادات السوفيتية قيادة الأسطول الأمريكي السادس بماحدث،مما أدي لوقف الأمريكان للعملية بعد افتضاح خيوط المؤامرة من قبل السوفيت فألغت واشنطن الضربة النووية دون التخلي عن الضربة العسكرية...

في يوم الثالث من يونيو ١٩٦٧ قامت ٤ طائرات أمريكية من طراز RF S4 انطلقت من قاعدة بئرسبع بصحراء النقب برصد كل ما هو ثابت ومتحرك فى سيناء ، وتم تسليم كل الصور والأفلام السينمائية للجيش الإسرائيلي، كما نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في فك كل شفرات الجيوش العربية وتجسست على كل الاتصالات، واعترضت الرسائل وأعادت صياغتها لتضليل الجيوش العربية ،ومنها الرسالة الشهيرة بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين. في ٥ يونيو أرسلت واشنطن حاملة الطائرات الأمريكية "ساراتوجا" للسواحل الإسرائيلية ، وقامت طائرات الحاملة بعمل مظلة جوية فوق الأجواء الإسرائيلية للتصدى لأى هجوم جوى مصرى على مطارات وقواعد إسرائيل. في ٥ يونيو ١٩٦٧. ساندت الولايات المتحدة الأمريكية العدو الصهيوني للعدوان علي مصر بمساعدات عسكرية وتكنولوجية ولوجستية تم منحها لإسرائيل من ميزانية المخابرات المركزية الأمريكية،فدعمت واشنطن تل أبيب ب٢٠ طائرة أمريكية انطلقت من قاعدة هويلس فى ليبيا وضربت المطارات والقواعد العسكرية فى غرب مصر، وسرب مقاتلات أمريكية انطلق من الخليج وضرب المطارات فى جنوب مصر،و٣ أسراب طائرات سكاى هوك ، وسربين طائرات ميراج ، و٦٢ دبابة ليوبارد ألمانية. كماوفرت واشنطن لإسرائيل ١٤٠ طياراً مقاتل متطوع من شتى أنحاء العالم. أما الدور الفرنسي في عدوان ١٩٦٧ فكان باشتراك ٢٠ طائرة فرنسية يقودها طيارون فرنسيون انطلقوا من المطارات الإسرائيلية مع القوات الجوية الإسرائيلية. التخطيط للعدوان واختبار خطة الحرب الإسرائيلية تم على الحاسبات الألكترونية للبحرية الفرنسية فى مدينة تولون.

أما الدور البريطاني فكان دوراً استخباراتياً في المقام الأول حيث قامت المخابرات البريطانية بتزويد إسرائيل بالخطة الجوية البريطانية لحرب ١٩٥٦

بالتفصيل .أما جنوب افريقيا زمن "الأبارتيد" أو في زمن الفصل العنصري بين السود والبيض فاشتركت في العدوان علي مصر ب ٢٠ طائرة يقودها طيارون من جنوب أفريقيا انطلقوا من المطارات الإسرائيلية مع القوات الجوية الإسرائيلية .

كانت الخسائر فادحة وخاصة على الجبهتين المصرية والسورية ، ومما زاد الطين بلة إصدار القيادات المصرية العسكرية أوامر جانبها الصواب أهمها الإنسحاب المهلهل والغير منظم لقوات الجيش من سيناء فنتج عن ذلك استشهاد أكثر من عشرين ألف جندي مصري من جراء الإنسحاب غير المنظم وليس القتال، كما بلغت خسائر قواتنا الجوية أكثر من ٨٥% والأكثر إهانة وإيلاماً ضرب إسرائيل لطائراتنا على الأرض فأصبحنا كجسد مشلول لا نقوى على الحركة ، كما وصلت خسائر قوة الطيارين إلى ٤% و١٧% من قواتنا البرية، كما وصلت الخسائر في المعدات لـ ٨٥% في قواتنا البرية ووصلت خسائر القوات البرية من القاذفات الثقيلة والخفيفة ١٠٠% و ٨٧% من المقاتلات القاذفة والمقاتلات ، عدد الشهداء المفقودين والأسرى ٣٦٠٠، عاد منهم ٣٧٩٩ أسير من بينهم ٤٨١ ضابط و٣٨ مدنياً والباقي جنود وصف ضابط.

اتضح بعد المعركة أن عدد الدبابات مائتي دبابة تقريباً دمر منها ١٢ دبابة واستشهد منها ٦٠ فرداً وتركنا ١٨٨ دبابة للعدو[١] .

تحمل الشعب المصري تبعات ومرارة النكسة فقد جزء عزيز من أراضيه، وعلى الجانب الإقتصادي اختفت السلع والخدمات وارتفعت الأسعار

---

[١] حرب الثلاث سنوات، مذكرات الفريق محمد فوزي.

بشكل جنوني واقتطع الجيش حوالي ٢٠% من قوت ودخل الشعب المصري للمجهود الحربي .

وعلى المستوى العربي نتج عن هذه الضربة الجوية المركزة احتلال إسرائيل للجولان السورية وطرد القوات الأردنية من الضفة الغربية واحتلال القدس وغزة فضلاً عن سيناء.

مما دفع بـ " جمال عبد الناصر " لإعلان التنحي من منصبه ومن أي منصب سياسي أو رسمي وأن يعود إلى صفوف الجماهير كما أعلن مسئوليته عن الهزيمة، لكن ذكاء الشعب المصري الذي خرج عن بكرة أبيه يرفض هذا التنحي ويعتبره نوعاً من أنواع الإنسحاب أثناء المعركة التي خسرنا جولتها الأولى، ولكننا لم نخسر الحرب بعد، وكأن لسان حاله يقول (في نفس واحد) "اللي شبكنا يخلصنا" لتبدأ ثورة التصحيح ، وتغيير العقلية قبل القيادات فيُسند إلى الفريق " فوزي " منصب القائد العام للقوات المسلحة ويحل محله الفريق " عبد المنعم رياض " في رئاسة الأركان .

بدأ الجيش المصري يسترد عافيته وثقته في نفسه وفي قيادته ويعطي رسائل إطمئنان للشعب المصري بمعركة " رأس العش " بعد النكسة مباشرة بحوالي عشرون يوماً بنفس السلاح وإغراق المدمرة إيلات بالقرب من شواطيء بورسعيد وإغراق الحفار الإسرائيلي لتبدأ حرب إستنزاف العدو الصهيوني وتكبيده خسائر فادحة في الأرواح والمعدات والتي استمرت ثلاث سنوات حتى توقيع مبادرة " روجرز " لوقف إطلاق النار، نجح خلالها الجندي المصري في مواجهة العدو الإسرائيلي في معارك شبه يومية استمرت ٥٠٠ يوم شملت غارات على مواقعهم إلى عمل كمائن لقوات العدو المتحركة وقذف بالدبابات والمدفعية وقام خلالها أبطال القوات المسلحة بـ ٤٠٠ عملية عسكرية خلال

حرب الإستنزاف التي أطلقت إسرائيل عليها الحرب المنسية وفق ما ورد بأحد الوثائق الإسرائلية

.استراتيجية " جمال عبد الناصر " شملت ثلاث مراحل الدفاع بصورة مستمرة لمقاومة أي مبادرة عسكرية إسرائيلية هجومية وإتخاذ إجراءات إستباقية ضدها والردع بقوة هجوم قوية ضد إسرائيل لردع الأعمال الإسرائيلية وذلك تمهيداً للمرحلة النهائية وهي إقتحام القناة واسترداد سيناء.

ففي يوم ٨ مارس عام ١٩٦٩م أطلق الجيش المصري حوالي ٤٠٠٠٠ قذيفة وقامت مصر بفتح نيرانها المكثفة بإتجاه القواعد العسكرية الإسرائيلية المتمركزة في عمق سيناء وعلى الضفة الغربية لقناة السويس، وطبقاً للوثيقة الإسرائيلية منذ هذا اليوم وطوال ١٧ شهراً واصل المصريون عملياتهم على طول القناة، وطالت الهجمات الإسرائيلية المقيمين على طول الحدود في منطقة (كريات شموناه) وحتى (إيلات) بصواريخ الكاتيوشا الروسية، وقتل في هذه الحرب المنسية ٧٢١ إسرائيلياً.

كان بطل هذه المرحلة بلا شك هو" جمال عبد الناصر" الذي أصدر أوامره بوضع خطة عسكرية لتحرير سيناء لإستغلال مكاسب حرب الإستنزاف، فكانت الخطة (٢٠٠٠) والتي تتكون من مرحلتين، المرحلة الأولى العملية " جرانيت "، وتشمل عبور القوات المصرية لقناة السويس وإقتحام خط بارليف الحصين والوصول لمنطقة المضايق.

المرحلة الثانية بعد الإستيلاء على منطقة المضايق يتم تطوير الهجوم حتى الوصول إلى الحدود المصرية الفلسطينية، كان الفريق " فوزي " مقتنعاً تماماً بالخطة (٢٠٠٠) وفي إجتماعه مع الرئيس " جمال عبد الناصر " في

أغسطس ١٩٧٠ حصل على تصديق شفهي من " ناصر " بموعد نهائي لبدء الهجوم بمجرد إنتهاء مبادرة " روجرز " .

بعد تولي الفريق " أحمد إسماعيل " القيادة العامة للقوات المسلحة ووزارة الحربية، صدق على خطة المآذن العالية التي اقترحها الفريق " سعد الدين الشاذلي " التي وضعت مطابقة تماماً لإمكانيات القوات المسلحة، تعتمد الخطة على عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف ثم إنشاء رؤوس كباري بطول ١٠ إلى ١٢ كيلو متر شرق قناة السويس.

بعد تعيين الفريق " أحمد إسماعيل " قائداً عاماً للقوات الإتحادية تم تعديل خطة المآذن العالية لتشمل الخطة الجبهة المصرية والسورية معاً فعدلت الخطة لتشمل الإستيلاء على خط المضايق الإستراتيجية في سيناء لـ ٤٥-٥٥ شرق قناة السويس.

كانت المعضلة الوحيدة لهذه الخطة أن مع بداية الهجوم المصري السوري المشترك حتماً سترمي إسرائيل بكل ثقلها على الجبهة السورية فخطورة الجبهة المصرية لن تكون كنظيرتها السورية نظراً لوجود حواجز طبيعية كصحراء سيناء وصحراء النقب لذا عُدلت الخطة المصرية حتى تتفق مع الأهدافف السورية، فكانت الخطة الجديدة (جرانيت ٢) المعدلة ليتغير اسمها إلى الخطة (بدر) .

(المبحث الثالث)

العملاق المصري لم يركع وإرادة الشعب المصري لم تنكسر

في خمسينات وسيتنيات القرن المنصرم حققت مصر قفزات إقتصادية وصناعية وتعليمية وزراعية وإجتماعية هائلة، كانت كل المؤشرات تؤكد على أن مصر ركبت قطار التقدم والحضارة بتدشين " ناصر" لمصانع وشركات عملاقة كشركة النصر للسيارات التي قامت بتصنيع التاكسي نصر والأتوبيس نصر ، واللوري نصر لأول مرة بأيادٍ مصرية وصناعة مصرية خالصة، وشركة النصر للمراجل التجارية التي صارت في مصاف الشركات العالمية ، وصناعات كيماوية ككيما للأسمدة في أسوان وصناعة الغزل والنسيج وتكوين إمبراطورية صناعية كبرى في كفر الدوار وشبرا الخيمة، فأسس منها ٣٩ شركة منها ٢٩ شركة للغزل وعشر شركات لتجارة الأقطان وحلجها، مصانع الكوك ومجمع الألومنيوم بنجع حمادي بتكلفة بلغت ثلاثة مليارات من الجنهيات ، ومصانع الأسمنت والسكر والأدوية ومصانع إطارات السيارات ومصانع عربات السكك الحديد (سيماف) ومصانع الكابلات الكهربائية وغيرها من المصانع التي أنشأها " ناصر" والتي بلغت ١٢٠٠ مصنع ليشيد " ناصر" أكبر قاعدة صناعية في العالم الثالث ، لذلك أراد الغرب وأد المشروع الناصري النهضوي وإعاقة ثورته الصناعية وكسر إرادة الشعب المصري وإعادة عقارب الزمن إلى الوراء، فقام الغرب بتوجيه ضربة عسكرية لمصر في ٥ يونيو١٩٦٧م في معركة أمريكية بأداء وأيادي إسرائيلية على حد وصف الرئيس الفرنسي " شارل ديجول " لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فقد فوجيء الغرب بأن العملاق لم يركع وإرادة الشعب المصري لم تنكسر

و" ناصر" لم يسقط بعد، فبعد النكسهة وتحديداً عام ١٩٦٩م حققت مصر زيادة في فائض الميزان التجاري لأول ولآخر مرة في تاريخها قُدر بـ ٤٦,٩ مليون جنيه ، فآخر ميزانية لمصر قبل ثورة ١٩٥٢ وصل العجز الإقتصادي إلى ٣٩ مليون جنيه ،فقبل تولي " ناصر " الحكم كان رصيد مصر من الجنيه الإسترليني المستحق لها من إنجلترا نظير ما قدمته مصر من خدمات لوجستية لدول الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية ٤٠٠ مليون جنيه استرليني بددته شركة قناة السويس التي كانت دولة داخل الدولة وقدمت هذه الأموال للحلفاء للإنفاق على المجهود الحربي في الحرب العالمية الثانية دون الرجوع لمصر، ولم تكتف بذلك بل تبرعت بعشرات الملايين للحركة الصهيونية بفلسطين لدعم المشروع الصهيوني وحلم إنشاء الدولة القومية اليهودية، والأدهى قيام الشركة بعد الإعلان الرسمي لدولة الكيان الصهيوني بفتح مكاتب للتنسيق المخابراتي والمعلوماتي بالتعاون مع الموساد الإسرائيلي، لذلك أمم " ناصر" شركة قناة السويس ١٩٥٦م وعادت القناة لمصر، ولم يتبقَ من الـ ٤٠٠ مليون جنيه استرليني إلا ٨٠ مليون جنيه استرليني رفضت إنجلترا إعادته لمصر نكاية في " ناصر" ولكنها أفرجت عنه في عهد السادات في منتصف السبعينات.

وفي المجال الزراعي، زادت الرقعة الزراعية المصرية بنسبة ١٥% كما صدر قانون الإصلاح الزراعي في ٩ سنتمبر ١٩٥٢ ليتغير حال الفلاح المصري ويصبح سيداً على أرضه بعدما كان من ضمن أملاك وتركة الإقطاع، انتشرت المدارس والوحدات الصحية في القرى والنجوع وزادت نسبة التعليم وأصبح التعليم مجانياً ، وعلى الرغم من نكسة ١٩٦٧م تحمل الشعب المصري فاتورة تكاليف بناء السد العالي الذي صنفته الأمم المتحدة في عام ٢٠٠٠ كأعظم

مشروع تنموي هندسي في القرن العشرين، فبفضله استطاعت مصراستصلاح ٢ مليون فدان عدا الإستفادة الكبرى من توليد الكهرباء.

استطاعت مصر الناصرية أن تحقق إكتفاءاً ذاتياً في كل المحاصيل فيما عدا القمح ، اكتفت مصر بتحقيق ٨٠% من إحتياجاتها منه أما الذهب الأبيض أو البترول الأبيض (القطن المصري) فقد وصل إنتاج مصر منه عام ١٩٦٩م إلى ١٠ مليون و ٨٠٠ ألف قنطاروهو رقم لم تصل إليه مصر في تاريخها الزراعي لهذا المحصول. أما الأرز فوصلت المساحة المزروعة منه إلى ما يزيد على مليون فدان وهي أيضاً مساحة لم تصل إليها مصر من قبل ، كما تم زراعة أنواع جديدة من القمح كقمح جيزة (١٥٥) والقمح المكسيكي.

استطاعت مصر في عشر سنوات من سنة ٥٧ إلى ١٩٦٧م تحقيق نسبة نمو بلغت ما يقرب من ٧% بشهادة البنك الدولي في تقريره عن مصر في ٥ يناير ١٩٦٧م بالمقارنة ببلدان العالم الأخرى، لم يزد معدل النمو في تلك الفترة عن إثنان ونصف بالمائة لأي دولة في العالم بإستثناء ألمانيا الغربية واليابان والمجموعة الشيوعية .

صعدت روح الرئيس عبد الناصر إلى بارئها بعد ثلاثة أعوام من النكسة واقتصاد مصر أقوى من اقتصاد كوريا الجنوبية، ولدى مصر فائض من العملة الصعبة تجاوز المائتين والخمسين مليون دولار بشهادة البنك الدولي. ولدى مصر أكبر قاعدة صناعية في العالم الثالث حيث كان عدد المصانع التى أنشأت في عهد عبد الناصر ١٢٠٠ مصنع منها مصانع صناعات ثقيلة وتحويلية وإستراتيجية.

وثمن القطاع العام الذي بناه المصريون في عهد الرئيس عبد الناصر بتقديرات البنك الدولى بلغ ١٤٠٠ مليار دولار.

كل ذلك بدون ديون فمصر في ليلة وفاة الرئيس عبد الناصر كانت ديونها حوالى مليار دولار ثمن أسلحة أشترتها من الاتحاد السوفيتي، وقد تنازل عنها السوفيت فيما بعد ولم يتم سدادها.

ولم تكن عملة مصر مرتبطة بالدولار الأميركي بل كان الجنيه المصرى يساوى ثلاثة دولارات ونصف، ويساوى أربعة عشر ريال سعودى بأسعار البنك المركزي المصري.

رحل الرئيس عبد الناصر والجنيه الذهب ثمنه ٤ جنيه مصري [1].

وفي مطلع الستينات دخلت مصر سباق التسلح وكان مشروعها العسكري الأضخم، ففي بداية ١٩٦٧م كانت مصر متفوقة على الهند في صناعة الطائرات والمحركات النفاثة وعززت مصر هذا التفوق بصناعة أول طائرة مصرية نفاثة (القاهرة ٣٠٠) لذلك قرر الغرب تحجيم "ناصر" وإيقاف مشروعه النهضوي والقضاء عليه مستفيداً من أخطاء العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦م فكان سيناريو ٥ يونيو ١٩٦٧م محبوكاً .

كان الشعب المصري عن بكرة أبيه ينصت لإذاعة صوت العرب ولبيانات المذيع الأشهر في العالم العربي في فترة الستينات أحمد سعيد الذي أذاع في يونيو ١٩٦٧م للشعب المصري بيانات عسكرية كاذبة يؤكد فيها النصر الساحق للجيش المصري وأن قواتنا المسلحة قصفت عشرات الطائرات الإسرائيلية، ما زالت كلماته وجمله وصوته الأجش يرن في أذن الشعب المصري " سنلقيهم في البحر وهنيئاً لك يا سمك " في إشارة إلى أن الصهاينة سيكونون طعاماً شهياً للأسماك بعد طردهم من فلسطين .

---

[1] عبد الناصر وحرب الاستنزاف عمرو صابح

في ٥ يونيو ١٩٦٧م استقبل المشير" عبد الحكيم عامر" وفداً عسكرياً عراقياً اصطحبهم بنفسه على متن طائرة خاصة إلى سيناء، ووقع العدوان الجوي الإسرائيلي و"عامر" في الجو مع الوفد العراقي في سيناء ، ووجد " عامر " صعوبة بالغة في الهبوط فإسرائيل ضربت معظم المطارات .

إلى أن إكتشف الشعب المصري الخديعة الكبرى يوم ٩ يونيو عندما أعلن " ناصر" عزمه التنحي وتقديم إستقالته.

منذ تلك اللحظة لم يعد الشعب المصري يستمع للإذاعة المصرية ولصوت العرب ولصوت أحمد سعيد تحديداً الذي ارتبط اسمه وصوته في مخيلة المصريين بنكسة ١٩٦٧م ، فقد كان دون أن يدري بوقاً مستخدماً للخداع والكذب والتضليل ، لذلك إتجه المصريون إلى الإذاعات الأجنبية كالبي بي سي ومونت كارلو وصوت أمريكا .

كانت الصورة قاتمة، قتل الجنود الصهاينة للجنود المصريين أحياء في خنادق طلبوا منهم حفرها ثم يطلق عليهم الصهاينة الرصاص بدم بارد وغيرها من القصص التي يشيب لها الولدان.

الفصل الثاني

إسرائيل المنتصرة تبدو مهزومة

المبحث الأول

حائط الصواريخ ملحمة سقوط أسطورة الذراع الطولي لإسرائيل

فى ٩ مارس ١٩٦٩ عندما بدأت أشعة الشمس الأولى تزيح بقايا الظلام من رمال الصحراء بدأت حرب الاستنزاف، كان الرئيس المصرى جمال عبدالناصر قد أعلن قبل ليلة واحدة فقط أنه مستعد لأن يضحى فى سبيلها بمليون جندى، ودوت أصوات القنابل وهدير المدافع حتى غطت السماء.

بعد معركة رأس العش قررت قيادة الأركان الإسرائيلية برئاسة الجنرال حاييم بارليف الرد للانتقام من المصريين فبدأت العملية(بوكسر) بهجوم عنيف من الجو أصاب بعض بطاريات المدفعية ومواقع الدبابات المصرية.

فى مطلع شهر يوليو ١٩٦٩ أصدرت قيادة سلاح الجو أمراً تنظيمياً صنف تحت بند سرى وعاجل يقضى بتكوين أول سرب فانتوم فى سلاح الجو الإسرائيلى فى قاعدة (حاتسور) تحت رقم ٢٠١ ، على أن يكون موعد الإنتظام فى ١٥ يوليو، والغاية من تكوين السرب هو تشغيل الطائرات بغرض الدفاع الجوى، والهجوم على أهداف برية وبحرية.

كانت الصحف الاسرائيلية تطالبت المواطنين الإسرائيليين بأن يوجهوا انتباههم إلي حدث جلل فطائرات الفانتوم العملاقة أغلى طائرة فى العالم ستحط رحالها في إسرائيل

فى ٥ سبتمبر ١٩٦٩، وقبل لحظات من غروب شمس يوم الجمعة، وأمام حشد من الجماهير المتحمسة هبطت أول أربع طائرات فانتوم فى قاعدة (حاتسور الجوية) وعلى الفور أزيل منها شعار القوات الجوية الأمريكية، ووضع مكانها شعار القوات الجوية الإسرائيلية.

قبل ذلك بثلاثة أسابيع مثلت مجموعة التأهيل فى السرب ٢٠١ التى عادت من الولايات المتحدة والمكونة من الرائد شموئيل حيتس قائد السرب، ويورام أجمون نائب أول قائد السرب، وإيتسيك فير نائب ثانى قائد السرب، ومناحيم عينى قائد طائرة، ويائير دافيد نائب قائد الطائرة. وانضم إليهم خمسة آخرون من السرب ٦٩ الذين كانوا فى الولايات المتحدة أيضاً.

حلق الطيارون وبدأوا التدريب، وسرعان ما عاودهم الحنين إلى طائرة الميراج.

هذا المسخ الأمريكى (الفانتوم) هدر وارتج، وأعطى إيحاء بأنه مكبس ضخم يدفع جزيئات جوية متمنعة، ويخرج من محركيه شريط دخان أسود، يمكن تحديده من بعيد. فما هو الحل لهذه الصفقة الغبية؟

اكتشفوا بعد ذلك أنه بفضل حسابات الملاحة والقصف الأفضل على الساحة، فإن طائرات الفانتوم تسطيع فعل كل شىء قصف جو جو أو جو أرض، ليلاً ونهاراً بأسرع ما يمكن وبأعلى ارتفاع ممكن وبأكبر قدر من التسليح. فى تلك اللحظة بدأوا يحبون الفانتوم ويقدرونها.

فى بداية شهر نوفمبر خرج قائدا سرب الفانتوم فى مهمة استعراض للقوة، اجتازا قناة السويس على ارتفاع منخفض، وعبرا المناظر الصحرواية إلى الوادى الأخضر والقوارب الشراعية البيضاء فى نهر النيل، حتى وصلا إلى ضواحى القاهرة، وها هى أهرامات الجيزة أسفل منهما.

رأى ملاح الكابينة الخلفية يائير دافيد سهماً يدفع دواسة المخنق إلى اليسار والأمام فعرف أن الحوارق الخلفية بدأت فى العمل، وشعر كيف تزيد الطائرة من سرعتها حتى وصلت إلى سرعة أعلى من الصوت، وفهم أنه فى هذه اللحظة وخارج قمرة الطيار المعزولة عن الوجود شعر سكان القاهرة بدوى اختراق حاجز الصوت، وتحطمت الآلاف النوافذ. عندئذ حدث يائير نفسه بأن هذا التدريب الصغير ربما يسهم فى إسكات المصريين للأبد.

وخلال أسبوع واحد أثبتت الفانتوم أنها قادرة على أن تكون صاحبة اليد العليا فى أجواء القاهرة، وتعرف كيف تسقط طائرات العدو مثل الميراج عند الحاجة يجب أن نفكر خارج الصندوق.

هكذا فكر قادة إسرائيل، "إن الطريقة الوحيدة التى ستدفع الشعب المصرى إلى التدخل الفعال وربما تؤدى إلى انتهاء حرب الاستنزاف هى شن الحرب داخل بيته المحصن" (١)

كانت هذه هي بدايات أجواء حرب الاستنزاف إسرائيل لها اليد الطولي في المجال الجوي وبكل سهولة تستطيع الوصول إلى العمق الجوي المصري! فماذا

---

(١) كتاب (باسم السماءالسرب الأول فى حرب يوم الغفران) للمحاضر والباحث العسكرى الإسرائيلى إفيرام باركاى ترجمة دار الشروق

فعل ناصر لمجابهة هذا التحدي الأعظم؟ وكيف استطاعت قوات الدفاع الجوى المصرية التغلب علي طائرة السكاى هوك والميراج والفانتوم الخارقة؟

وكيف استطاعت مصر تحييد صواريخ (شرايك) لتسقط بعيدة عن أهدافها؟ وكيف تمكن مقاتلو الدفاع الجوى التغلب إعاقة الطائرات الإسرائيلية التي استخدمت وسائل الإعاقة والشوشرة سواء كان ذلك من مصادر أرضية أو من المستودعات الموجودة بنفس الطائرات المهاجمة؟

وكيف نجحت مصر في إفشال قدرة إسرائيل على استخدام الطائرة بدون طيار المعروفة ب(RPVS)؟

وكيف نجحت مصر في إسقاط الطائرة الإسرائيلية الأقوى (استرتوكروز) التى كانت تمثل أهمية كبرى للقوات الإسرائيلية؟

قبيل وفاة الرئيس عبد الناصر أتمت مصر بناء حائط الصواريخ الشهير وأتمت خطط العبور وتحرير الأرض العربية كلها وليس تحريك الموقف.

كانت العقبة الكؤود أمام الجيش المصري تفوق الطيران الإسرائيلي، لذلك قرر ناصر محاكاة الخطة الفيتنامية ببناء سلسلة من قواعد صواريخ سام الروسية المضادة للطائرات، وبعدها تشكل هذه الصواريخ حائطاً صلباً لمنع اقتراب الطيران الإسرائيلي لمسافة عشرة كيلومترات.

ثم تنقل تلك القواعد للأمام لمسافة عشرة كيلومترات أخرى وهكذا.

ولكن الحليف الأمريكي حاول إفساد الخطة المصرية فأمد العم سام تل أبيب عام ١٩٦٨ بطائرات إف ٤ (فانتوم).

مما ضاعف من مسافة وقوة النيران الإسرائيلية.

لم تهداء إسرائيل بل جن جنونها فصارت تضرب بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ القواعد الصاروخية المصرية وهي قيد الإنشاء حتي تضمن سيطرتها الجوية علي سماء مصر.

اشتد وطأة القصف الأسرائيلي المصحوب بأعمال الأعاقة الرادارية وعلى كتائب الصواريخ في أواخر عام ١٩٦٩. نظراً لتزويد واشنطن لتل أبيب بطائرة كانت اخر ما انتجه المارد الأمريكي بأول طائرة تستخدم انظمة الحرب الألكترونية وكانت طائرة مزوده بتجهيزات الكترونية حديثه جداً من حواسيب ورادارات لأغراض متعدده وأجهزة استشعار للصواريخ المعادية المنطلقة تجاه الطائرة مما يسمح للطيار بأخذ مناورة حادة مما يفجر الصاروخ وهو يطارد الطائرة لأنه من المعروف أن الصاروخ لا يستطيع عمل مناورة تكتيكيه حاده بل سينفجر بالجو

ومما زاد أعباء القتال على المصريين تركيب الأمريكان جهاز أمريكي على الطائرات الفانتوم كلف بضعة ملايين من الدولارات الأمريكيه بسبب هذا الجهاز اطلق عليها الطائرة الأمنه.

كان الدفاع الجوي المصري يحاول محاولات مستميتة ففتح النسق الأول من كتائب الصواريخ لتغطية الأعمال الحربية فوق قناة السويس وكان ذلك في يوم ٥ ديسمبر ١٩٦٩.

وفي نفس الشهر في ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ بدء الطيران المعادي بقصف طويل من الساعة الثامنه صباحاً وحتى الساعة الخامسة مساءً بدوام رسمي كامل فوق رؤوس المصريين كان القصف متواصل في ذلك اليوم بفواصل زمنية بسيطه من دقيقه الى دقيقتين بواسطة قنابل تزن الواحد ٢٠٠٠ رطل واخرى

توازي ١٠٠٠رطل ورغم ذلك كانوا المصريين عند الموقف وزادوا من تحديهم لهذا العدو الأهوج الجبان.

الوقت ضيقاً والطيران الأسرائيلي يقصف الدشم التي تبنى تمهيدا لنصب الصواريخ في مهدها ولم يكن أمام رجال الدفاع الجوي في هذه الظروف العصيبة الا مواجهه العدو ونصب الكمائن والأشتباك في شجاعة نادرة فتم إسقاط طائرة هنا وطائرة هناك حتى تاريخ ١٩٦٨/٦/٣٠ وتمكن الدفاع الجوي من فتح نسقه الأول في مواقع مجهزة لحماية بناء الدشم والقواعد القريبة من القناه وصمد خط الدفاع الجوي المصري صمود أسطوري واستعوض خسائره وظل صامداً يقاتل ببساله منقطعة النظير.

وفي شهر يوليو من سنة ٧٠ استمرت الهجمات الأسرائيلية والقتال الأسطوري الذي كان يجابه المصريين به عدوهم مما حدا بالأسرائيلين بأستبدال طائرات (إسكاي هوك) التي كانت وجبات إفطار وغداء وعشاء للمصرين ودفع بدلاً منها الطائرة المتطورة(الفانتوم) الأمريكية لتوسيع أعمال القتال لكن ضباط الدفاع الجوي لاحظوا ندرة إصابة هذه الطائرة التي كانت مجهزة بأجهزة تحذير أمريكية لم تكن معروفه في ذلك الوقت.

في أوائل شهر يوليو من العام ١٩٧٠ كان رجال وضباط من عمليات الدفاع الجوي و الحرب الألكترونية(وحدة كانت منشئة حديثاً لاستجواب الأسري الطياريين في السجن الحربي و مستشفى المعادي) وكان هدف الأستجواب واضحاً معرفة الخصائص الفنية والتكنولوجية (للفانتوم) وبعد إصرار من المحققين دهشوا لسيل المعلومات التي قدمها الأسرى الإسرائيليين خاصة عن جهاز الأنذار المبكر الرهيب.

وبعد دراسة شبة كاملة عن خصائص للمحطات الصواريخ الألكترونية التي حصلوا عليها بالأستطلاع الألكتروني

ولتبسيط الأمر عندما يطلق صاروخ على الطائرة الفانتوم تضيئ لمبة حمراء تحذيرية أمامه فيتعين ان يأخذ مناورة حادة أكبر من قدرة الصاروخ على المناورة فينفجر ولا يحدث أضرار

مما حدا برجال الدفاع الجوي بتحدي هذه التكنولوجيا فخرجوا بفكرة نبتت من إراده وعبقرية وتصميم مصري خالص وهو تعديل فني بسيط على الصواريخ وتم التطبيق بفضل معلومات الطيارين الصهاينة لتنطلق بعدها في سماء المعركة الصواريخ الأمنة لتأكل الفانتوم صاحبة التحذير الجهاز المسمى بأغنية SAM SONG إلى جهاز مضلل بفضل الله ثم بفضل المهندسيين المصريين.

بلغ حصيلة ذلك الأسبوع مايوازي ٢٤ طائرة فانتوم مما حدا بالصحافة ان تسميه أسبوع تساقط الفانتوم.

فزع القادة الأسرائيليون من إسقاط طائراتهم الحديثة وأدركوا أنهم بحاجة لإلتقاط الأنفاس واستصرخوا حلفائهم الأمريكان [١]

وكان الحليف الأمريكي عند الموعد فطرح مبادرة روجرز.

بدأت مفاوضات وقف إطلاق النار ،بينما سعى عبد الناصر لمد أمد التفاوض لمدة ٤٠ يوماً حتى تم الإنتهاء من بناء حائط الصواريخ ،بعدها وافق الرئيس عبد الناصر علي مبادرة روجرز بعدما نجحت مصر في تحريك حائط

---

(١) موقع المنتدي العربي للدفاع والتسليح

الصواريخ حتى حافة قناة السويس لتقطع القاهرة الذراع الطولي لتل أبيب وتحرم إسرائيل من قوتها الاولي وتشل حركة الطيران الإسرائيلي في الهجوم على مصر غرب قناة السويس بعدما استباح الصهاينة

سماءالقناة بعد نكسة٦٧ وانتقلوا إلى مرحلة الهجوم المباشر ضد أهداف مدنية مصرية بعدما وافقت لجنة الدفاع والأمن القومي الإسرائيلية في٦ يناير ١٩٧٠ علي قصف العمق المصري بهدف إضعاف القيادة المصرية من خلال استهدافهم لأهداف مدنية فأغارت الطائرات الإسرائيلية على وادي النيل ومحافظة الشرقية ومدرسة بحر البقر ومحافظة القليوبية وضرب مصنع أبوزعبل ومصنع الصلب فى مسطرد، مطار غرب القاهرة في جريمة مخزية أسفرت عن إستشهاد ٣٠ طفلا و٣٦ جريحا، وغيرها من الأهداف المدنية بكل خسة ونذالة.كانت دماء هولاء الأبرياء المدنيين وخاصة الأطفال حافزا لرجال القوات المسلحة وعناصر الدفاع الجوي على سرعة إكمال مهمتهم ببناء حائط الصواريخ. وتحولت قوات الدفاع الجوي المصري إلى أسلوب جديد هو أسلوب الكمائن.

شهدت القوات الجوية عملية بناء غير مسبوقة شملت تخرج ١٢ دفعة من الطيارين.

١٠ دفعات من الملاحين.

تجهيز هندسي لمختلف المطارات والقواعد الجوية.

إنشاء مطارات جديدة في كل أنحاء مصر.

وتعددت صور الإنشاءات بين دشم محصنة، ودشم ذخيرة، ومراكز قيادة،

وبلغ حجم الإنشاءات في القوات الجوية ثمانية أضعاف الهرم الأكبر،

وتضاعفت ساعات الطيران للطيارين مرتين ونصف، وتضاعفت طلعات رمي الطيارين بالقنابل والصواريخ مابين ١٨ الي ٢٠ مرة.

كانت عملية إعادة بناء قوات الدفاع الجوي تمثل في حد ذاتها قصة بطولة بمفردها حيث كان لدينا فقط بضعة مدافع ورشاشات مضادة للطائرات، وعدد ضئيل من بطاريات الصواريخ، وقليل من أجهزة الرادار.

حاولت إسرائيل تدمير إرادة مصر فقامت بغارات جوية وصل عددها من يوليو حتي سبتمبر عام ١٩٦٩ حوالي ١٠٠٠ غارة في العمق ضد بعض الأهداف المدنية لتوسيع رقعة القتال.

ليتخذ الرئيس جمال عبد الناصر قراراً ببناء مواقع محصنة لصواريخ الدفاع الجوي.

ثم قراره الأخطر إقامة حائط الصواريخ علي امتداد الجبهة الغربية لقناة السويس، ليصل حجم الأعمال الهندسية في حائط الصواريخ ١٢ مليون متر مكعب أعمال ترابية، و مليون و نصف مليون متر مكعب من الخرسانة العادية، ومليونين خرسانة مسلحة، ٨٠٠ كيلو متر طرق أسفلت، ٣٠٠٠ كيلو متر طرق ترابية، و قدرت تكاليف حائط الصواريخ بحوالي ٧٦ مليون جنيه، وبعد عملية إعادة البناء تم تنفيذ العديد من العمليات القتالية كبروفة طبق الأصل لعملية العبور ففي سبتمبر عام ١٩٦٨ قامت المدفعية المصرية بتدمير بطاريات الصواريخ أرض / أرض قصيرة المدى التي إقامتها إسرائيل في مواجهة مدينتي الإسماعيلية والسويس وبقية القرى بمنطقة القناة، ورغم محاولات إسرائيل التدخل بقواتها الجوية ضد المدفعية المصرية فان عمليات القصف المدفعي تواصل جنباً الي جنب مع عمليات العبور والتي تزايدت بشكل كبير منذ يونيو ١٩٦٩.

وفي يوليو ١٩٦٩ قامت قوة مصرية بعملية عبور من منطقة بور توفيق و اقتحمت موقعاً إسرائيلياً و قتلت و جرحت نحو ٤٠ جندي و استمرت في الموقع لمدة ساعة بعد أن دمرت ٥ دبابات إسرائيلية و مركز مراقبة و عادت بأول أسير إسرائيلي.

وفي التاسع من ديسمبر عام ١٩٦٩ قامت طارة ميج ٢١ مصرية بإسقاط أول طائرة فانتوم إسرائيلية.

وفي يوليو ١٩٧٠ تمكنت صواريخ الدفاع الجوي في أسبوع واحد من إسقاط ١٧ طائرة إسرائيلية فيما عرف بأسبوع تساقط الطائرات الفانتوم الإسرائيلية [1]

خسرت إسرائيل خلال معارك الاستنزاف ثلاثة أمثال ما لحقها من خسائر بشرية خلال حرب ١٩٦٧.

فقد فقدت خلالها ٤٠ طياراً.

٢٧ طائرة قتال ومدمرة.

٧ زوارق وسفن إنزال.

١١٩ مجنزرة.

٧٢ دبابة.

٨١ مدفع ميدان وهاون.

مقتل ٨٢٧ جنديا وضابطاً.

إصابة ٢١٤١ فرداً [2]

---

[1] عبد الناصر وحرب الاستنزاف عمرو صابح

[2] نفس المصدر السابق

وبالرغم من نجاح حرب الاستنزاف لم تفكر مصر في دخول الحرب إلا بعدما بنت حائط الصواريخ المضاد للطائرات.

وقبل سريان الاتفاق بسويعات قليلة، نجحت قيادة الدفاع الجوي في القفز، بتجميع الصواريخ إلى مواقع متقدمة غربي القناة، دفعة واحدة، وتدعيمها بكتائب إضافية من العمق. أتاحت نشر مظلة الدفاع الجوي إلى مسافة ٢٠ كم شرقي القناة.

كانت تلك الفترة تمثل قمة التلاحم بين الشعب وجيشه، حيث كان المهندسون والعمال من شركات المقاولات المصرية الكبيرة يقومون ببناء مواقع تمويه لمحطات الصواريخ، لإلهاء إسرائيل عن المواقع الحقيقة لها، كان هؤلاء العمال والمهندسون يعرفون أنهم سيكونون هدفاً سهلاً لغارات العدو الذي كان يستخدم كل قواته لمنع بناء محطات الصواريخ، ولكنهم مصرون علي الذهاب لعملهم ويواصلون العمل، فيسقط منهم الشهداء والجرحي، نتيجة غارات العدو، ويحمل زملاؤهم جثامين الشهداء لدفنها، ويعوودون لمتابعة العمل في سرعة وتضحية لا توصف" [١]

في فبراير ١٩٦٨، تشكلت قوات الدفاع الجوي المصري، كقوة رابعة بعد أن كانت بطاريات الصواريخ تابعة للقوات الجوية، وبدأت ملحمة بناء قوة ردع تمنع الغارات الإسرائيلية في العمق المصري وتتصدي للهجمات الجوية المتكررة على مواقع قواتنا غرب القناة، بعد أن أدت هجمات القوات المصرية

---

[١] ٣٠ يونيو أسطورة حائط الصواريخ – هانى بدرالدين في حوار صحفي لجريدة الأهرام مع العميد أركان حرب محمد سمير المتحدث العسكري.

إلى خسائر كبيرة للقوات الإسرائيلية في شرق القناة خلال حرب الاستنزاف. واستخدمت إسرائيل مئات الطائرات، لقصف القوات على طول جبهة قناة السويس، وأسقطت آلاف القنابل والصواريخ، بأمل إيقاف حرب الاستنزاف، وفي المقابل لم تكن مهمة الدفاع الجوي سهلة بإمكانات محدودة لم تتجاوز ست كتائب صواريخ (سام.٢)، وعدد من وحدات المدفعية المضادة للطائرات. وبالفعل نجحت وحدات الدفاع الجوي في حرمان القوات الجوية الإسرائيلية من تحقيق أهدافها، حتى منتصف عام ١٩٦٨. ومع تصاعد حرب الاستنزاف على الجبهة، تصاعد القصف الجوي المعادي، خلال الفترة من يوليو حتى ديسمبر ٦٩، ضد وحدات الدفاع الجوي بالجبهة. فأُسقطت عليها مئات الأطنان من القنابل. واضطرت القيادة لسحب وحدات الدفاع الجوي ووضع خطة جديدة للدفاع الجوي عند القناة تركزت في إعادة تمركز الوحدات الجديدة، في إطار خطة خداع متكاملة، تمنع طيران العدو من التدخل ضدها، في أثناء اتخاذها أوضاعها الجديدة. كذلك تم تحديد الأهداف الحيوية في مصر، ووضع أسبقية لكل منها، ثم النظر إلى هذه الأهداف من وجهة نظر العدو، وتحديد مدى تعرضها للهجوم الجوي المعادي.

استطاعت قوات الدفاع الجوي أن توفر ثلاث عشرة كتيبة (سام.٢)، وثلاث كتائب (سام.٣)، لكن هذا العدد لم يحقق إلا دفاعاً هشاً لا يستطيع حماية الجبهة. واستقر الرأي على تعويض ذلك بخداع القيادة الإسرائيلية، وإيهامها بأن عدد الوحدات أكبر من الحقيقة بالتوسع في استخدام المعدات الهيكلية، والقيام بالمناورة بين الحين والآخر، ودفع الكمائن في أكثر من موقع في وقت قصير.

ملحمة الكمائن كانت قصة أخرى لبطولة ملحمية لرجال الدفاع الجوي فالحجم الكبير لمعدات الصواريخ سام ۲، مثل عقبة أمام تحريكها المستمر وفقا للخطة. وخلال أقل من أسبوع تم الإعداد للكمين الأول، ونجح الضباط وضباط الصف والجنود، في تقليل زمن تجهيز كتيبة الصواريخ للتحرك والاشتباك، إلى أقل من نصف الزمن.

ومع نهاية يوم ٢٣ أبريل، اكتمل إعداد كتيبتين لتنفيذ مهمة الكمين الذي استهدف طائرة إسرائيلية شرق القناة، وأطلقت كل كتيبة صاروخاً ضدها ودمرت الطائرة الإسرائيلية بواسطة الصاروخ الأول، ونجح الكمين الأول. ثم نفذ الكمين الثاني، ونجح في إسقاط طائرة أخرى، ثم الكمين الثالث. ونجح أسلوب الكمائن، بالفعل، في اصطياد بعض الطائرات الإسرائيلية، ولكنه لم يكن بديلاً لتجميع الدفاع الجوي المتماسك المفترض إنشاؤه على الجبهة خاصة بعد أن مدت إسرائيل هجماتها للعمق المصري.

ملحمة أخرى تجسدت في كيفية مجابهة التطور التكنولوجي لطائرات الفانتوم التي كانت بها أجهزة الإعاقة الإيجابية والسلبية، وفوق ذلك كان بها أجهزة استطلاع لإنذار الطيار لحظة دخوله في مجال إشعاع أجهزة الدفاع الجوي المصري، ولحظة انطلاق الصواريخ سام. عكف القادة والضباط والمهندسون المصريون على دراسة طرق التغلب على هذه المشكلات. وتوصلوا لإطلاق صواريخ مضللة للرادار حتى يمكن إصابة الفانتوم بصواريخ سام٢ و سام ٣ المصرية.

إدخال كتائب الصواريخ للجبهة وسط التفوق الجوي الإسرائيلي والمساعدات الأمريكية ملحمة تستحق التوقف والتأمل بإجلال للتضحيات التي قدمها مقاتلو الدفاع الجوي، فلم يكن أمامهم إلا خيارات صعبة تمثلت

في تمركز هذه الكتائب في الجبهة، في مواقع غير محصنة، حيث لا يمكن إنشاء مواقع محصنة، دون حماية من كتائب الصواريخ. وكان الحل بتنفيذ التمركز ثم التحصين عن طريق الوثبات التدريجية بدلا من القفز مرة واحدة إلى مواقع أمامية غير محصنة. وبالفعل تم إنشاء مواقع النطاق الأول شرقي القاهرة.

ثم إنشاء ثلاثة نطاقات جديدة، تمتد إلى منتصف المسافة، بين القاهرة والقناة. في زمن قياسي، فخلال ليلتين فقط أُنشئت التجهيزات الميدانية لعدد ٢٤ قاعدة صواريخ، وجهزت بوسائل الاتصال، وطرق المناورة إليها.

بحلول نهار ٨ أغسطس ١٩٧٠ استطاعت قوات الدفاع الجوى أن تنشئ نظام دفاع جوى قوياً غير قابل للاختراق على الشاطئ الغربى من قناة السويس، هذا الحائط الذي كسر أسطورة القوات الجوية الإسرائيلية التى لا تقهر ويحدث بشكل مباشر توازن القوى الجوى بين مصر وإسرائيل، بل نستطيع القول أن مصر أصبح فى إمكانها عبور قناة السويس وإدارة معركة هجومية فى سيناء لتحريرها من الاحتلال.

مع آخر ضوء يوم ٢٨ يونيو ١٩٧٠، بدأ الإعداد للمرحلة الأولى من الخطة "أمل"، لدخول الصواريخ أرض/ جو المصرية، إلى جبهة القناة.. ونجحت وحدات الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات المصاحبة لها، في الوصول إلى مواقعها. ثم بدأ التجهيز للاشتباك. ولم يشعر الإسرائيليون بهذه القفزة الخطيرة، ولم تقم إسرائيل بأي رد فعل خلال نهار ٢٩ يونيو. ومع آخر ضوء من اليوم نفسه، احتلت المجموعة الثانية من الوحدات مواقعها الجديدة شرق المجموعة الأولى.

وفي صباح ٣٠ يونيو، كانت الصواريخ المصرية في مواقع تتيح لها توفير الوقاية للقوات المصرية على مسافة ٣٠ كم غرب القناة.

كان صباح ٣٠ يونيو موعد إعلان سيطرة بطاريات الصواريخ المصرية على ضفتي القناة وانتهاء أسطورة ذراع الطيران الإسرائيلي التي آذت المصريين جيشاً وشعباً بغاراتها الهمجية على المصانع ومدارس الأطفال ووحدات الجيش غرب القناة.

وفي العاشرة والنصف من صباح يوم ٣٠ يونيو، رصدت أجهزة الرادار طائرة استطلاع تحلق على ارتفاع ١٢ كم، وبمجرد أن دخلت مدى النيران، أطلقت عليها إحدى كتائب صواريخ التجميع نيرانها، ولكن الطائرة أفلتت. وانتظر الجميع رد فعل إسرائيلي عنيف.

وفقا للسيناريو المألوف للرد، فالجانب الإسرائيلي سيوجة حشداً من طائرات الفانتوم وسكاي هوك والميراج، مدعما بجميع وسائل الإعاقة الإلكترونية الإيجابية والسلبية، تحميه مجموعة أخرى من المقاتلات الاعتراضية، ويستهدف مهاجمة التجميع الصاروخي المصري، من جميع الاتجاهات، وقصفه بوابل من الصواريخ والقنابل زنة ٢٠٠٠.٥٠٠ رطل.

وكان من المنتظر أن تبدأ المعركة خلال ساعة.

ولكن استغرق الرد ست ساعات ونصف تقريباً لتصل الموجة الهجومية الإسرائيلية مكونة من ٢٤ طائرة [١]

خلال الأسبوع الأول من شهر يوليو ١٩٧٠ تمكن تجمع الدفاع الجوي من اسقاط ٢٤ طائرات فانتوم وسكاي هوك وأسر ٣ طيارين إسرائيليين. وكانت هذه أول مرة تسقط فيها طائرة فانتوم لتصرخ جولدا مائير وقتها بمقولتها

---

[١] حائط الصواريخ ملحمة صنعها الصمود والدماء بطاريات صواريخ سام ٢ المفضلة أميرة إبراهيم صحيفة التحرير

الشهيرة عن حائط كتائب الصواريخ المصرية (كتائب الصواريخ المصرية أصبحت أشبه بعش الغراب كلما دمرنا واحداً نبت الآخر).

المقاتل المصرى حصد خبرة حرب الاستنزاف واستطاع تقليل أزمنة رد الفعل للدفاع الجوى من ٣٠ ثانية إلى ٣ ثوانٍ فقط لكن يمكن القول إن مقاتلى الدفاع الجوى المصرى استطاعوا أن يتحكموا فى طبيعة شعاع رادار التوجيه بطريقة تجعل الصاروخ (شرايك) لا يستطيع تتبعه ويفقد ويتوه فى الفضاء! فالصاروخ (شرايك) كان يعتبر فى ذلك الوقت من أفضل وأحدث إنجازات الصناعة العسكرية الأمريكية فى مجال الحرب الجوية، صُنع خصيصاً استجابة لطلبات القوات الجوية الأمريكية فى فيتنام لإسقاط وتدمير صواريخ الدفاع الجوى الروسى سام ٢، كانت نتائجه فى حرب فيتنام كارثية، استطاعت أن تمحو من الوجود كثيراً من مواقع الصواريخ الروسية، إلا أن الدفاع الجوى المصرى استطاع ببراعة أن يستنبط طريقة مبتكرة لتقليل خطورة الصواريخ (شرايك) ويتخلص من تأثيرها تماماً فى أحيان كثيرة، وقد تم تعميم هذا الأسلوب فى مواجهة (شرايك) فى جميع دول العالم التى تستخدم سام ٢، وكان لهذا الاستخدام نتائج مبهرة فى حرب فيتنام، بل إنه قد يكون أحد أسباب سرعة خروج القوات الأمريكية منها بعد عام ١٩٧٢.

أما عن كيفية التغلب علي وسائل الإعاقة والشوشرة بطبيعة الحال الدفاع الجوى وظيفته دفاعية بحتة، ولا يمكنه المناورة بين الدفاع والهجوم كما تستطيع الأسلحة الأخرى البرية والجوية والبحرية وذلك بسبب كبر حجم معداته وصعوبة المناورة بها، لكن فى الدفاع الجوى فى حرب الاستنزاف ومعارك حائط الصواريخ استطاع أن يتحول فى أوقات كثيرة من الدفاع إلى الهجوم عبر تحريك وحدات الدفاع الجوى من مواقعها فى الوقت الذى كانت تتوقع فيه قوات العدو استحالة مناورة هذه القوات خارج مواقعها! والمثير فى

الأمر أن قوات الدفاع الجوى استطاعت أن تعمل على تقليل الأزمنة اللازمة لنقل تلك المعدات والتحرك بها من خلال ابتكار أسلوب جديد يطلق عليه (الكمائن الصاروخية) وذلك بتحريك وحدات صواريخ إلى أماكن بعيدة عن موقعها الأصلى لفترة محدودة تستطيع فيها الاشتباك مع الطائرات المعادية بصورة مفاجئة لها، ونتائج تلك الكمائن كانت مشجعة للغاية لدرجة أنه فى النصف الثانى من ١٩٧٠ تمكنا من التقدم بالكمائن الصاروخية إلى مسافات قريبة جداً من الشاطئ الغربى لقناة السويس واستطعنا أن نسقط ٤ طائرات فى شرق القناة وبعدها توقفت أى طائرات إسرائيلية عن الطيران على مسافة ٢٠ كم شرق القناة! وجدير بالذكر هنا أنه كان من أهم مقومات القوات الجوية الإسرائيلية أجهزة الإعاقة الإلكترونية المضادة لرادارات الدفاع الجوى، وقد استخدمت إسرائيل هذه الأجهزة لأول مرة فى حرب ٦٧، ثم استخدمت بكثافة فى حرب الاستنزاف ومعارك حائط الصواريخ وحرب أكتوبر ٧٣، لكننا تغلبنا عليها.

فشلت إسرائيل في استخدام الطائرة بدون طيار (RPVS) وخاصة في حرب أكتوبر.

فقد استطاعت مصر إسقاط ٤ طائرات بدون طيار (RPVS) من خلال ٦ طلعات استطلاع قامت بها القوات الجوية الإسرائيلية كالآتى: إسقاط ٢ طائرة بالصواريخ سام ٢.

إسقاط ١ طائرة خاصة بالإعاقة على نظام القيادة الإلكترونية.

إسقاط ١ طائرة بصواريخ ستريلا أو المدفعية.

ونستطيع أن ندرك حجم الخسارة الإسرائيلية بتدمير تلك الطائرات عندما نعرف أن إسرائيل قامت فى اليوم التالى مباشرة باستخدام صواريخ (شرايك) لأول مرة فى هجمة جوية مركزة بعدد ١٨ طائرة فانتوم تحمل ٣٦

صاروخ شرايك، أطلقتها من شرق القناة على رادارات وصواريخ الدفاع الجوى المصرى غرب القناة بغرض القضاء على نظام الدفاع المصرى فى الجبهة، فأعلنت إسرائيل وقتها أنها قامت بتدمير الدفاع الجوى المصرى وأنه لن تقوم له قائمة مرة أخرى، ولقد احتفلنا جميعاً فى قيادة قوات الدفاع الجوى بذلك الإعلان لأنه فى تقديرنا كان علامة على مدى الفشل الإسرائيلى فى تحديد نتائج هذه الضربة الجوية!

لكن كان الاحتفال بسقوط الطائرة (استرتو كروز) احتفالا من نوع آخر فلم تكن تلك النتائج إلا نتاج قيام وحدات الدفاع الجوى بالجبهة بتنفيذ قواعد الاشتباك مع (شرايك) والتى تم التدريب عليها لفترات طويلة جداً قبل ذلك، وأيضاً نتيجة لقيام قوات الدفاع الجوى فى تقدير الموقف بعد سقوط الطائرة (استرتو كروز) وتوقع قيام إسرائيل بهجمات بطائرات (شرايك) فى اليوم التالى وإعطاء الأوامر للوحدات بالاستعداد للاشتباك طبقاً لقواعد الاشتباك تحت ظروف استعمال العدو للصواريخ «شرايك» فى الوقت المحدد تماماً [(١)]

قالوا عن حائط الصواريخ :

اللواء محمد علي فهمي (المشير بعدئذ) قائد قوات الدفاع الجوي منذ بعد حرب يونيو ١٩٦٧ والذي تولي قيادة قوات الدفاع الجوي خلال حربي الاستنزاف وأكتوبر : " نجحنا في بناء حائط الصواريخ في أغسطس ١٩٧٠، وعندئذ اختلفت الصورة تماماً، وبدأ الطيران الإسرائيلي يعاني نزيف الخسائر التي تلحقها به قوات الدفاع الجوي المصري".

---

(١) اللواء أركان حرب مصطفى خيرى البيه، رئيس غرفة عمليات قوات الدفاع الجوى المصرية، إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحرب الاستنزاف ورئيس شعبة بحوث الدفاع الجوى الأسبق في حوار صحفي لجريدة الوطن أجرته الصحفية مني مدكور.

في خطاب للرئيس جمال عبدالناصر في ذكرى ثورة ٢٣ يونيو عام ١٩٧٠ متحدثاً عن حائط الصواريخ وبطولات الدفاع الجوي المصري :إن العدو يقوم بغارات كل يوم، وكان تركيز العدو على عناصر الدفاع الجوي، وهدفه منعهم من آداء دورها على الجبهة، لكن العدو لم يستطع، وكان اعتراف العدو مؤخراً بأن عدد بطاريات الصواريخ المصرية على الجبهة يتزايد ولا يتناقص برغم ضراوة غارات طائرات العدو، وبدأت طائرات الفانتوم الأمريكية تتساقط على أراضينا، وبدأ طيارو الفانتوم وهم الصفوة المنتقاة من القوة العسكرية الإسرائيلية يقعون أسرى في أيدي رجال القوات المسلحة المصرية".

أما موشى ديان، وزير الدفاع الإسرائيلى فقد صرح بعد أيام من بدء حرب أكتوبر ١٩٧٣ فقال: إن جذور هذه الحرب اللعينة الثقيلة بأيامها والثقيلة بخسائرها قد وُضعت فى عام ١٩٧٠ حينما أقام المصريون مواقع صواريخهم المضادة للطائرات على الشاطئ الغربى من قناة السويس، وبذلك أصبح لديهم القدرة على حماية قواتهم فى عملياتهم الهجومية شرق القناة، ولم نقم بتدميرها أو التخلص منها، لكن الحقيقة أن الإسرائيليين لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك.

واعترف ديان لاحقاً حينما سئل عن السبب في عدم تدميرها؟

فأجاب: لم تكن لدينا القدرة التكنولوجية والإمكانات القتالية للتخلص منها.

فلولا حرب الاستنزاف ومعاركها الحية الضارية ونجاحاتها وإخفاقاتها ما تمكنت قوات الدفاع الجوي من تطوير قدراتها ولما حققت الإنجاز الرائع الذي حدث في حرب أكتوبر، بعد تحييد سلاح الطيران الإسرائيلي ومنعه من تقديم المعاونة لقواته البرية فى مواجهة الهجوم المصرى وصد عملياته ،لتبداء معركة المصير لتتغير موازين القوي لصالح القوات المصرية التي عبرت قناة السويس ومنها إلي نصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

المبحث الثاني

رائحة الموت في تل ابيب

تجلى الموقف العسكري الإسرائيلي واتضحت خيوط مؤامرة إختطاف سيناء في سويعات قليلة بمساندة غربية، وصلت الدبابات الإسرائيلية إلى شرق قناة السويس تحت تغطية إعلامية واسعة متزامنة مع ضربة جوية مكثفة على كافة المطارات المصرية العسكرية بعد إعلان الوصول إلى شرق القناة بدأ ما يسمى بجيش الدفاع الإسرائيلي التغلغل في سيناء لفرض واقعاً جديداً على المنطقة، مستهدفاً كسر إرادة مصر التي حققت إنجازات ونجاحات مبهرة في كافة المجالات، بدأت محاولات الغرب لكسر مصر بتوريط مصر في حرب مستمرة باليمن من خلال الضغط على الجيش المصري باليمن عبر تحريض بريطانيا في عدن جنوباً والأمريكي من الشمال وإمداد القبائل بالمال والسلاح مما أدى لتكثيف القوة العسكرية باليمن على حساب الجبهة الشرقية لمصر في سيناء .

افتعلت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا المناورات والأزمات السياسية لمصر بحثاً عن مبرر لإسرائيل لشن ذلك الهجوم الخاطف على سيناء والذي تم على أرض شبه خالية من القوات المصرية سادت في مصر مشاعر إحباط موجعة ولكن أبداً لم تكن إستسلام بل غضب، كانت لحظة إفاقة للوطن الذي دخل غرفة الإنعاش ، فمصر قد تمرض ولكنها لا تموت.

بدأت مرحلة الصمود ساندتنا كل الدول العربية من المحيط إلى الخليج.

ظلت سيناء أسيرة تحت قبضة إسرائيل من يونيو ١٩٦٧ إلى أن تم تحريرها فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وبين هذين التاريخين حرباً كبري سطر

فيها الجيش المصري ملحمة من الأمجاد والبطولات والعمليات الكبري والعمليات الفدائية التي انهكت العدو وكبدته خسائر في الأرواح والمعدات هي "حرب الاستنزاف" فبأجماع الخبراء العسكريين كانت هذه الحرب بمثابة الانطلاقة الأولى لانتصارات أكتوبر حيث اعتبرت المقدمة الحقيقية لانتصار أكتوبر فهي الحرب التي أيقظت الروح العسكرية للمقاتل المصري بعد أن ظنت إسرائيل انها ماتت في نكسة ١٩٦٧.

وهي الحرب التي شمت فيها إسرائيل رائحة الموت نمر علي حرب الاستنزاف مرور الكرام وكثيراً منا لايعطيها أي اهتمام علي الرغم من أنها كانت اللبنة الأولي التي وضعتها مصر لدخول حرب أكتوبر فكانت حرب الإستنزاف هي التهيئة النفسية لدخول المعركة وكان أهم سلاح استخدمه ناصر هو سلاح الإعلام الموجه وأهم أداة وورقة لعب بها ناصر كانت الإذاعة العبرية الموجهة ضد إسرائيل فكيف استخدم ناصر هذه الورقة الرابحة لتأليب الرأي العام الإسرائيلي علي قادته وكيف كان تأثيرها وكيف زلزلت حرب الاستنزاف عموماً إسرائيل قادة ومجتمعاً مدنياً وعسكرياً؟

خبير الشؤون الإسرائيلية بالإذاعة المصرية والمؤسس المصري للإذاعة العبرية الموجهة ضد إسرائيل السيد أحمد الحملي يسرد ذكرياته عن حرب الاستنزاف فيقول: بداية أود أن أوضح ان أهداف حرب الإستنزاف هي التأكيد على ان الهزيمة مؤقتة وتبليغ رسالة للرأي العام في مصر بأن الجيش لم يستسلم، وان النكسة هي خارج حساب التاريخ وأن مصر مصممة على استئناف الحرب، وكان من بين الأهداف أيضاً تأليب الرأي العام داخل إسرائيل وتعرية مقولة ان الحرب حولت العرب إلى جثة هامدة فقد عادت الحرب ووصلت إلى نتائج وخيمة وخسائر فادحة لدى الجانب الإسرائيلي بعد

عام فقط من النكسة، والاعلام دوماً تعبيرعن الواقع وتطوره سواء في الاتجاه الإيجابي والسلبي، نحن كنا في إذاعة (قول قاهير) (صوت القاهرة بالعبرية) نترجم ونعبرعن سياسات الدولة فبدأنا على الفور في شن حرب نفسية ضد إسرائيل خصصنا لها عدداً مضاعفا من ساعات العمل والبث اليومي،أبرزنا بشدة أن الجانب الإسرائيلي كان يتكبد مصابين بجروح خطيرة أو قتلى بشكل يومي خلال عمليات عسكرية مصرية، ورفعنا في خلال حرب الاستنزاف شعار (دولة تأكل أبناءها) وكنا نبرز سقوط الجنود الإسرائيليين من صغار السن أو الذين تركوا وراءهم أبناء من خلال حرب نفسية تؤكد ان الذين سقطوا فوق أرض الغير بسبب أمور غير شرعية وأن الغارات لم تؤد إلى وقف الحرب بل على العكس صعدت مصر حرب الإستنزاف واعتبرت ضرب الأهداف المدنية نوعاً من الإحساس بخيبة الأمل لدى الجانب الإسرائيلي، وكنا في الإذاعة الموجهة في إطار الحرب النفسية المصاحبة لحرب الإستنزاف نكشف بشكل يومي إجمالي أعداد القتلى والجرحى الذين سقطوا على الجانب الإسرائيلي منذ بدء الحرب ونبث تقديرات مستقبلية لعدد القتلى الإسرائيليين المتوقع خلال السنوات المقبلة ،كانت للحرب النفسية أبلغ الأثر في نفوس الجيش الإسرائيلي آنذاك وقد علمت ذلك من الأسرى الإسرائيليين والذين كان على رأسهم الجنرال (عساف ياجوري) الذي أكد لنا أن غالبية أفراد الجيش الإسرائيلي كانوا يسمعون ويتابعون من المخابئ الإذاعة المصرية الموجهة باللغة العبرية بل وكانوا يعرفون أسماء وأصوات المذيعين المصريين وأن سبب ذلك يرجع إلى مصداقية الإذاعة المصرية وتخبط بيانات وأخبارمعارك حرب الإستنزاف التي تذاع في الأخبار الإسرائيلية، وقد حرصنا في الاطار نفسه على بث أغاني عبرية مثل: (أبنائى العشرين يريدون السلام)

و(أنا أعدك محبوبتي بأن تكون هذه هي الحرب الأخيرة) . بالاضافة لاقناع بعض الأسرى بتوجيه رسائل إذاعية باللغة العبرية لزملائهم يطالبونهم فيها بمغادرة إسرائيل حتى لا يقعوا في الأسر أو يسقطوا في المعارك.

موقفين انسانيين لجنديين إسرائيليين صدرهما الإعلام المصري للجبهة الإسرائيلية في حرب الاستنزاف كشفتهما الصحافة الإسرائيلية مؤخراً قصتان تبرزان بطولات الدفاع الجوي المصري وأخلاق الشعب المصري السامية القصة الأولي لطيار إسرائيلي كان يشن غارة على مطار بالمنصورة فاستطاع رجال الدفاع الجوي المصري اسقاط طائرته وكاد الفلاحون أن يفتكوا به لولا تدخل عمدة البلدة بذكاء ليسلمه للجيش المصري. وهو الموقف الذي جعل الطيار الاسرائيلي يعود مؤخرا لمصر (بمصاحبة مجموعة سياحية) ليشكر عمدة البلدة الذي أنقذه وتعامل مع الأسير بشكل إنساني.

اما القصة الثانية لجندي إسرائيلي آخر وقع في الأسر خلال عملية في السويس أصيب خلالها ونقل لمستشفى المعادي العسكري لتلقي العلاج لقي معاملة كريمة من المصريين ورغم مرور سنوات وسنوات على هذا الحدث يخجل الجندي الإسرائيلي من زيارة مصر (في اطار السياحة) فذكريات حرب الاستنزاف تمنعه من ذلك.

وباعتراف قادة ومسؤولين اسرائيليين فإن حرب الاستنزاف تمثل عند الاسرائيليين (رائحة الموت) وكابوساً مخيفاً يطاردهم أينما ساروا مازالت آثارها وندوبها وتقرحاتها لا تزال موجودة في المجتمع الإسرائيلي وقد عبرت اعترافات العديد من الإسرائيليين عن ضراوة هذه الحرب مثال ذلك اعترافات

موشيه ديان في كتاب (حوارات مع ديان) شهادة عظمي علي ضراوة هذه الحرب يعترف ديان: على الرغم من ان الدفاعات الجوية المصرية وسلاح الطيران المصري انهارت في حرب يونيو ٦٧ فإن المصريين استطاعوا تجميع القوات على الضفة الغربية للقناة واعادة تدريبها وارسال قوات كوماندوز بشكل متتال للضفة الشرقية حققت نجاحات كثيرة خاصة في القيام بكمائن ضد القوات الاسرائيلية. واعترف (ديان) لأول مرة بأنه في إحدى هجمات القوات الخاصة المصرية بالضفة الشرقية هاجموا قافلة مدرعات كان هو شخصيا بها، بل ان المدرعة التي كان بداخلها أصيبت بالنيران المصرية وتعطلت مما اضطر القوات الاسرائيلية لنقله بسرعة إلى مدرعة أخرى والانسحاب من المكان.

عن إحساس حرب الاستنزاف المرير يؤكد(ديان): كان وضع القوات الاسرائيلية في سيناء أسوأ من الوضع في هضبة الجولان. كان الجنود الإسرائيليون القادمون من مدن يخشون الانفصال عن بقية القوات خاصة وان كل موقع على القناة كان يبعد عن الذي يليه عشرات الكيلو مترات فكان أغلب الجنود الإسرائيليين يفكرون في السيناريو السيئ الذي سيحدث لو هاجمهم المصريون. لقد زرت المواقع على الجبهة المصرية كان هناك بعض القادة يتميزون بعدم الخوف لكن الأغلبية لم تكن تشعر بالثقة في النفس يتملكها شعور بالخوف.. الخوف الشديد) .

أما عجيبة الأعاجيب عن حرب الاستنزاف فيرويها ابن وزوجة رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبق حاييم بارليف الذي وضع فكرة وتأسيس خط بارليف بتكلفة مليارات الدولارات ظنا منه انه الحصن المنيع سيقف أمام أي محاولات عسكرية مصرية لتحرير سيناء.. ابن بارليف وزوجته أكدا لصحيفة

(يديعوت أحرنوت) : ان حرب الاستنزاف هي الأكثرضراوة وقسوة على إسرائيل حتى بمقارنتها بحرب أكتوبر، وكشفا عن أن بارليف رفض في هذه الفترة رغبة ابنه في اجتياز دراسات عسكرية حتى يصبح ضابطا عاملا.. وقال له: العمل كضابط في الجيش النظامي ليس مهنة جيدة.. لكن الابن التحق في النهاية بالجيش ومعه مجموعة من جيرانه، وابن عمه، فلقي الأخير مصرعه بعد التحاقه بوحدة عسكرية تابعة لأريل شارون، بينما فقد معظم أصدقائه وجيرانه الذين سقطوا قتلى وجرحى حسب اعترافه. اعترافات ابن بارليف ليست وحدها الدليل على ما تركته هذه الحرب من آثارقاسية على اسرائيل، وإنما شهادات أخرى اسرائيلية تبدأ من رسائل تلقتها حولدا مائير رئيسة الوزراء آنذاك من شباب صغيرالسن يعبرعن خوفه الشديد من المستقبل، في الوقت الذي لم يكن قد مرعلى انتصاراتهم في ٦٧ أكثرمن عام ويعطي كل هذا دليلاً دامغا على أن حرب الإستنزاف التي راح ضحيتها شهداء من مصروضعت الفصول الأولى من مجمل فصول انتصارات حرب أكتوبر١٩٧٣.

أحدثت حرب الاستنزاف شرخاً كبيراً داخل جيش الدفاع الإسرائيلي فحدثت مظاهرات عنيفة اشترك بها ضباط احتياط. وشكل زعماء هذه المظاهرات بعد ذلك حزب (شينوي) أي (التغيير) الذي كان شريكا في الائتلاف الحكومي السابق بقيادة إسحاق رابين والذي تحول بعد ذلك لحزب (راتس) (حركة حقوق المواطن) وهي تنظيمات يسارية مؤثرة على الخريطة السياسية في إسرائيل.

حتى الآن كابوس الإستنزاف وذكرياته الأليمة مازالت باقية في الوجدان الإسرائيلي وكابوس حرب الاستنزاف ما زال ماثلا أمام الإسرائيليين لدرجة

تسمية البعض للمناوشات على الجبهة اللبنانية بـ (حرب الاستنزاف الجديدة) رغم ان هناك بعض التفاهم مع الجانب اللبناني على خطوط حمراء للعمليات العسكرية حتى لا يتم قصف البنية التحتية اللبنانية وتدميرها. فكابوس حرب الاستنزاف قائم على الرغم من ان الجبهة اللبنانية هي جبهة محدودة ولا تقارن بحرب الاستنزاف الأولى.

وثائق وزارة الخارجية الإسرائيلية عن حرب الاستنزاف التي تم نشرها بالعبرية اعترفت : بأن المصريون بارعون في عمليات المراقبة والرصد للطرق الرئيسية التي تستخدمها القوات الاسرائيلية لنقل المؤن والمعدات للمواقع الحصينة وكانوا يطلقون نيرانا كثيفة على العربات والمدرعات بعد رصدها من الأتربة المتصاعدة عن حركتها على الطريق خلال اتجاهها إلى الموقع الحصين أو العكس. لقد جعل الجيش المصري عمليات استطلاع الدوريات الاسرائيلية عملية خطرة كما سقط كثيرون من الذين كانوا يقومون بتلك الدوريات بسبب نيران القناصة المصريين. لقد كانت الحياة على شاطئ القناة غارقة في توتر دائم، تهديد مستمر من القصف المدفعي وقوات الكوماندوز المصرية. لم نكن نعرف متى وأين ستسقط الدانة المقبلة، أو من أين سيهجم علينا الكوماندوز المصري. كانت مشاعر الانفصال والحصار تتزايد ليلا وخلال لحظات الهدوء في الوقت الذي كان التعتيم الإعلامي يتم فرضه على ضحايا الاستنزاف حتى تسير الأمور كالمعتاد في الجبهة الداخلية لاسرائيل.

لقد تزايدت الهجمات الاستنزافية المصرية ووصلت لذروتها في أكتوبر ١٩٦٨ فقررت القيادة العسكرية دراسة امكانية احتلال أجزاء من الضفة الغربية لقناة السويس كرد على الهجمات المصرية إلا انه اتضح ان الجيش

الاسرائيلي ليس لديه الامكانات اللازمة لهذه الخطوة التوسعية، بالاضافة إلى تداعياتها السياسية الخطيرة بالنسبة لاسرائيل فتقرر الغاء العملية والاكتفاء ببناء خط بارليف وشن هجمات جوية على العمق المصري وضرب أهداف صناعية مدنية. لكن الغريب أن القوات المصرية لم تهدأ وتسكن بل شنت هجمات أكثر عنفا بمصاحبة قصف مدفعي مكثف على طول القناة خاصة في مارس ١٩٦٩. فردت اسرائيل بضرب مدن القناة بالطيران وفي النهاية تم وقف اطلاق النار في السابع من أغسطس ،١٩٧٠ بعد أن وصل عدد القتلى الاسرائيليين إلى ٧٢١ قتيلا. وقد استغلت مصر هذه الهدنة في تقديم حائط الصواريخ المتمثل في صواريخ سام-٣ المتطورة نحو شاطئ القناة.

ظاهرة الموت بلا ثمن _ المناخ المليء برائحة البارود_ ومشاهد القتلى والجرحى الذين يتساقطون في كل يوم على ضفاف القناة وفي وادي الأردن وعلى الهضبة السورية من الاسرائيليين كضحايا بلا ثمن كانت هذه الكلمات والجمل تملاء سماء إسرائيل فهذه الكلمات كانت بمثابة بارود وطلقات لشعراء وأدباء إسرائيل فاطلقوا صرخات الاحتجاج والسخط ضد سياسة التوسع الصهيونية وضد ظاهرة الموت بلا ثمن التي أصبحت جزءا من الحياة الإسرائيلية بعد تبدد الأمل في السلام واندلاع حرب الاستنزاف وتلاشي أسطورة الحرب التي تنهي جميع الحروب..

وعن أثر حرب الاستنزاف في المجتمع الإسرائيلي تتبع الدكتور (رشاد الشامي) ، في كتابه القيم (عجز النصر) عن أدب ما بعد حرب ،٦٧ الوجه الآخر للانتصار الاسرائيلي العسكري في ٦٧ وهو وجه السأم من الحروب والرغبة في حياة تخلو من رائحة الموت التي تطاردهم في كل يوم وتحرمهم من الأمل في

تواصل الحياة الهانئة بلا قلق على مستقبل الأبناء الذين يقومون دوما على الاطماع التوسعية كموتى بلا ثمن في نصرماهوالا شارات وأوسمة تتعلق على صدور المتعجرفين من القادة العسكريين الذين يقفون في زهو مزيف على جثث الضحايا دون أن يحققوا لأبناء الشعب الأمن أو العيش في سلام فهو إذا نصر عاجز. رصد (الشامي) ذلك كله من خلال النتاجات الأدبية الاسرائيلية عن حرب ٦٧ وبالذات اثر نشوب حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩. وقد عكس كل هذه المشاعر قول الكاتب الإسرائيلي (مائير شيلاف) : ليس هناك موطئ قدم في هذه البلاد ولو كان آباؤنا قد ساروا فيه أغلى عندي من جثة الفتى المتعفنة. ومن النماذج الشعرية التي لا تحتاج إلى تعليق أيضا، والتي أوردها الدكتور الشامي، ثلاث قصائد كتبها جنود اشتركوا في حرب ١٩٦٧ وعبروا فيها عن خوفهم من ظاهرة الموت خلال حرب الاستنزاف، لكنهم على الرغم من ذلك قتلوا جميعا في حرب أكتوبر ١٩٧٣. القصيدة الأولى لجدعون روزنتال وتمتلئ بالاحساس المأسوي بالموت:

لم أساعد الرفاق الذين سقطوا..
ولم أسمع بكاء الأمهات..
ولم أشم رائحة الشهداء..
ولم أربعد الأذرع المقطوعة..
ولكنني عشت عشرين عاما..
على سطح هذه الأرض.
وقد كان هذا حسنا وأريد أن أواصل.. أريد ببساطة أن أواصل الحياة..
هناك أشخاص يسقطون وهم شبانا كم هذا غبى..
ليس في السرير بالذات من نيران الرصاصات كم هذا غبي..

من أجل الآباء الذين ستصبح حياتهم مريرة للغاية كم هذا غبي..
يموتون وهم في العشرين.
وهم فقط في العشرين...

ويتكرر نفس هذا الاحساس بالموت المفاجئ المحتمل، في قصيدة (يوسف شريح) والذي قتل هو الآخر في حرب أكتوبر١٩٧٣:

لقد جاء موتي فجأة وعرفت كواحد من الناس أنه مقترب...

وبروح مشابهة كتب (باري حازاك) قصيدة بعنوان (رب العالمين) في صورة توقع للموت من خلال محادثة لاسلكية تنتهي بهذه الكلمات:

رجاء أن تغلق عينيك انني أسمع الآن. ياروت أنت تستطيع في النهاية أن تموت.
أيها الأب الثاكل.

انني لم أعد أشعر بعد لأن دموع الشتاء سوف تقرأ عليك صلاة (القادرش) .

ومن أهم الأعمال التي كانت بمثابة مرآة لأزمة حرب الاستنزاف داخل نفوس الإسرائيليين مسرحية غنائية (لمانوخ لفين) بعنوان (ملكة الحمام) والتي قدمت عام ١٩٧٠ على خلفية النزيف الدموي الموجع لحرب الاستنزاف والعديد من الأحزان والثكالى والأرامل بين الإسرائيليين وهي المسرحية التي أحدثت ردود فعل عارمة لم يحدثها عمل أدبي أو مسرحي في إسرائيل من قبل حيث يمكن القول دون تردد أن إسرائيل بعد عرض مسرحية (ملكة الحمام) لم تعد هي نفسها إسرائيل قبل ذلك العرض. و(ملكة الحمام) عبارة عن عرض

مسرحي ساخر ولاذع عالج عدداً من الأساطير اليهودية والمقدسات الإسرائيلية التي تمحورت حول قضايا حساسة وموجعة مثل فقدان الأبناء في الحروب. والترمل، ومعوقي الحرب، وتحول دولة إسرائيل إلى سلاح طيران. وتراوحت أصداء الضجة التي أثيرت حول المسرحية بين الهجوم الحاد وبعض التأييد فقد ذكرت صحيفة (هاآرتس) : أن المسرحية ليست ضد جيش الدفاع الإسرائيلي أو ضد الأرامل والآباء الثكالى. انها بشكل غير تقليدي ضد الرضا عن الذات عند العديد من أبناء مجتمعنا بالنسبة للوضع القائم. إن وضع الإنسان في أيامنا هذه، هو الوضع الذي يتم فيه الإتجار بالحروب في عديد من الأحيان، والمتاجرة بالبطولة، ويحزنني أن أقول المتاجرة أيضا بالحرب في عديد من الأحيان، والمتاجرة بالبطولة، ويحزنني أن أقول المتاجرة أيضا بما هو أفظع من ذلك: بموت الناس.

جعلت هذه الضجة وزير الدفاع الاسرائيلي (موشيه ديان) يحضر عرض المسرحية ويصرح بعدها: لست أعرف ماذا ومن تعبر عنه هذه المسرحية. وقد فكرت أثناء العرض فيم يحدث بالفعل لو أنهم أخذوا هذه المسرحية على ما هي عليه وعرضوها في المواقع على الجنود المصريين في الجانب المقابل.. في الجانب الغربي من قناة السويس.. أي متعة كانت ستصيب الجيش المصري لو عرض عليه المسرح الحكومي الإسرائيلي مسرحية تقدم رئيسة الوزراء تريد أن تمسك وزير الخارجية الاسرائيلي من (مكان حساس) وتعرض الأب يريد أن يذبح ابنه لكي يصل إلى حالة الأب المثكول لست أتصور أي شيء يمكن أن يكون أكثر تشجيعا للجيش المصري مما يعرضونه.. انهم يبرئون العرب.. أولئك العرب المساكين الذين نذبحهم طوال الوقت أو نتفاخر بأننا نذبحهم.

ومن أبرز ردود الفعل العارمة أيضا التي شهدتها اسرائيل خلال فترة حرب الاستنزاف، مطالبة مجموعات من كل قطاعات المجتمع الإسرائيلي بوضع حد لهذه الحرب والسعي إلى السلام بأي ثمن مع العرب ولو على حساب التنازل عن الأراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧

كان من أشهر ردود الفعل المدنية البارزة لحرب الاستنزاف ذلك الخطاب الذي يحوي عدة سطور أرسله طلاب الصف الثاني عشر في إحدى المدارس الثانوية في إسرائيل إلى (جولدا مائير) رئيسة الوزراء الإسرائيلي احتجاجا على عدم استجابة الحكومة لاقتراح دكتور ناحوم جولدمان (رئيس المنظمة الصهيونية العالمية) الخاص بارساله للتباحث مع عبدالناصر حول السلام. وقد جاء في الخطاب الذي نشر في الملحق الأدبي لجريدة (هاآرتس) :

"نحن جماعة تلاميذ الثانوية الذين على وشك التجنيد في جيش الدفاع الاسرائيلي، نحتج على سياسة الحكومة ازاء قضية (جولدمان ـ ناصر) . لقد كنا نعتقد حتى الآن اننا نذهب للحرب وللخدمة لمدة ثلاث سنوات لأنه لا خيار أمامنا. وبعد هذه القضية ثبت انه حتى حينما يكون هناك خيار ولو صغير للغاية فإنكم تتجاهلونه، وعلى ضوء هذا فإننا وكثيرين آخرين نفكر كيف نحارب حربا دائمة لا مستقبل لها في الوقت الذي توجه فيه حكومتنا سياستها بطريقة تضيع احتمالات السلام. إننا ندعو الحكومة إلى استغلال كل فرصة وكل إمكانية للسلام"

كان خطاب الصف الثاني عشر بمثابة الشرارة التي انتشرت في تل أبيب كالنار في الهشيم انضم لها الشباب علانية وأيدوا (المنظمة الإشتراكية الإسرائيلية) التي أصبحت بعد هذا الخطاب موضوع اهتمام المجتمع

الإسرائيلي. وكان هناك من وزعوا صحفا سرية تحمل أسماء مثل (جعشوش) و(نعشوش) (نوعر شوحير شالوم ـ الشباب الداعي للسلام)، مكتوبة باسلوب براق وتحوي كلمات احتجاج صارخة ضد سياسة العدوان والتوسع والحرب الاسرائيلية. وحفلت هذه المقالات بصرخات مثل: (إذا استمرت الظروف الحالية) الذي تصل فيه حقا إلى هذه الحالة: لكل شاب ستكون هناك ـ ثلاث فتيات) أو مثل: (أنت أيها الشاب اليقظ لمشاكل الساعة أنت أيها الشاب الهادئ الذي لا يتمرد على المجتمع أنت أيها الشاب الذي تسمى ذئبا على ألسنة العجائز ولا تخجل من هذا، أنت أيها الشاب الميت، المتعب، قم وتخلص من جمودك، وتخلص من وصاية آبائك وأجدادك، قم وتظاهر واخرج ضد الزعامة المجنونة، التي بسبب غبائها الشديد أوصلتنا إلى هذا. كف كف عن أن تقول آمين لكل كلمة تقولها جولدا مائير أو موشيه ديان. أخرج إلى الشوارع وتخط الحواجز، حارب من أجل السلام. لا تقل ان الموقف الأمني لا يسمح بهذا. حارب من أجل تغيير الموقف الأمني. إن السلام يجب أن يصل بأي ثمن وكان سيصل لولا غباء الزعامة. لا تقل ان الحرب قد فرضت علينا، إن هذا القول من الممكن أن يردده الأمريكيون في فيتنام. إنهم لم يفرضوا علينا الحرب بل فرضتها أنت على نفسك لانك أيدت طريق زعمائك)

أما حرب الاستنزاف في عيون الحاخامات ورجال الدين البارزين فقد كانت لها آثار سيئة وردود أفعال عنيفة فقد أعلن الحاخام السابق (سينؤر زلمان ملادي) انه تحول منذ أكثر من عشرين عاما عن الدين اليهودي واتجه للعلمانية..

أما عن أسباب عودته حسب قوله: تعارض الدين اليهودي الحالي مع القيم الإنسانية. وقد اخترت القيم الإنسانية. وفي الواقع لقد بلغت فيما بعد حرب يونيو ١٩٦٧ قمة المنحنى الديني وبعدها بدأت في التراجع وأدرت ظهري لليهود

من أحدث التقارير الصادرة عن حرب الإستنزاف تقرير للمؤرخ الاسرائيلي (موردخاي ناؤور) الذي اختار حرب الإستنزاف كأحد أهم الأحداث في التاريخ الإسرائيلي وقال عنها بشكل مكثف:

في الثامن من مارس عام ١٩٦٩ بدأت مصر حرب الاستنزاف على امتداد الضفة الشرقية لقناة السويس تقريبا بشكل يومي حتى أغسطس ١٩٧٠. ففي الثامن من ابريل عام ٦٩ تم اطلاق عدد من الصواريخ على ميناء إيلات. بعد ذلك حدث استمرار للهجمات على طول قناة السويس وتم تصعيد المعارك البرية والبحرية والجوية في الشهور التالية وبدءا من سبتمبر في العام نفسه سقطت طائرات اسرائيلية في معارك جوية مع القوات المصرية وسقط الطيارون في الأسر. فالمصريون على الرغم من الضربة القاسية التي تعرضوا لها في حرب يونيو ٦٧ لم يستسلموا وأخذوا يشنون الهجمات المسلحة على قوات الجيش الإسرائيلي على طول قناة السويس وكان القتال شبه يومي ، وعلى الحدود الأخرى وقعت كذلك معارك متتالية ضد الجيوش و(المخربين) (الفدائيين) العرب. لكن الوصف (حرب الاستنزاف) كان المقصود به بشكل خاص الجبهة المصرية. وقد فقدنا خلال المعارك خسائر هائلة.

أما العملية العسكرية الضخمة في حرب الاستنزاف التي مازال الإسرائيليون يقفون أمامها مدهوشين وما زالت أسرارها لم تتكشف بعد فهي عملية إغراق الغواصة الإسرائيلية داكار في يناير ١٩٦٨ فأحدث الوثائق الاسرائيلية حول هذه العملية تذكران: الغواصة التي تم شراؤها من الاسطول البريطاني عام ١٩٦٤ غادرت ميناء بورتسموت متجهة لاسرائيل يوم التاسع من يناير١٩٦٨ وبداخلها ٦٩ من القوات الإسرائيلية وقد وصلت وفقا للخطة المحددة لميناء جيفرلتريوم ١٥ يناير لتحصل على الوقود وأطعمة مطلوبة. ثم غادرت الميناء متجهة شرقا في طريقها لاسرائيل، إلا انه في منتصف ليلة ٢٥ يناير تلقت قيادة البحرية الاسرائيلية آخر برقية روتينية من الغواصة حددت فيها موقعها على بعد ٣٦٠ ميلا من شاطئ إسرائيل. وفي صباح اليوم نفسه كان من المفترض أن تقوم داكار في الثامنة بارسال برقية مماثلة لقيادة البحرية الإسرائيلية لكن الأخيرة لم تتلق أية إشارات أو برقيات من الغواصة. وبعد محاولات تم اتصال مشوش مع الغواصة سرعان ما انقطع تماما فبدأت عمليات البحث عن الغواصة في صباح يوم ٢٦ يناير بدون جدوى رغم الجهود الاسرائيلية المكثفة مما اضطر إسرائيل في الرابع من فبراير إلى اعلان الغواصة وطاقمها المكون من ٢٩ فردا (مفقودين) واعتبر الحادث غصة في حلق إسرائيل حتى الآن.

في أول يوليو ١٩٦٧ وبعد عشرين يوما على النكسة وفي موقع صغير بمنطقة رأس العش يضم ثلاثين مقاتلا من رجال الصاعقة المصرية تقدمت قوة مدرعة اسرائيلية صوب الموقع في محاولة لإكمال السيطرة على الضفة الشرقية للقناة.. يتصدى الرجال للقوات المعادية في معركة شرسة كانت نتائجها صدمة كهربائية للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية.. في نفس الوقت

الذي كانت فيه نقطة تحول هامة وعلامة بارزة لإرادة الصمود المصري.. وفي اليوم التالي حاولت القوات الإسرائيلية التقدم مرة ثانية، وكانت النتيجة مزيدا من الخسائر في المعدات والأرواح، باءت كل محاولاتها بالفشل الذريع.[1]

وفي يوم الثامن من يوليو أي بعد أسبوع من معارك رأس العش. حاولت قوة اسرائيلية التقدم من جنوب بور فؤاد وفشلت المحاولة بعد مقاومة عنيفة وشجاعة فريدة للمقاتلين المصريين وكانت ضراوة هذه المعارك وحجم الخسائر التي تكبدتها القوات الاسرائيلية كافية بعدم تكرار محاولاتها تلك لمدة ست سنوات تالية حتى اندلعت الشرارة ظهر ذلك اليوم المجيد.. السادس من أكتوبر ١٩٧٣. -كانت معارك رأس العش بداية مرحلة (الصمود) التي امتدت حتى سبتمبر ١٩٦٨ خلال هذه الفترة انطلقت بضع طائرات (كانت هي البقية الباقية من طائرات قواتنا الجوية التي دمرت على الأرض يوم الخامس من يونيو) حيث دارت معارك جوية ضارية أثبتت شجاعة نسورنا التي سجلتها وكالات الأنباء العالمية.

في أعقاب تصعيد التراشق بالأسلحة الصغيرة والمدفعية بين القوات المصرية والإسرائيلية خلال شهر سبتمبر ١٩٦٧ وجهت إسرائيل ضرباتها إلى مدن القناة بواسطة مدفعياتها الثقيلة استشهد عدد كبير من مواطني هذه المدن.

وفي الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩٦٧ سجلت البحرية المصرية حدثا فريدا في تاريخ الحروب البحرية عندما تقدمت المدمرة الاسرائيلية (إيلات) إلى

---

(١) يوميات حرب الاستنزاف طبقاً لوثائق هيئة الاستعلامات المصرية

مياهنا الاقليمية أمام مدينة بور سعيد.. وانطلقت لنشاتنا الصاروخية تسبقها إرادة الرجال لتطلق صواريخها بحر. بحر لأول مرة في الحروب البحرية لتسكن المدمرة (إيلات) التي تمثل نصف القوة البحرية الاسرائيلية في قاع البحر ووصلت خسائر إسرائيل يومها في الأفراد فقط ٣٠٠ جندي وضابط.

وفي صباح الثالث والعشرين من أكتوبر ،١٩٦٧ ردت اسرائيل بقصف معامل تكرير البترول في السويس والمدنيين في مدن القناة فصدر قرار مصري باخلاء منطقة القناة من سكانها المدنيين.

مع اقتراب عام ١٩٦٨ كانت القوات المصرية قد أصبحت قادرة على الانتقال من مرحلة الصمود في مواجهة العدوان الإسرائيلي إلى مرحلة الردع.

ففي الاسبوع الأول من سبتمبر ١٩٦٨ استهلت قواتنا مرحلة الردع التي استمرت حتى مارس ،١٩٦٩ بأعمال تعرضية لمنع قوات العدو من تقوية دفاعاتها على الضفة الشرقية للقناة.

وكانت معركة الدفاع الشهيرة يوم الثامن من سبتمبر ١٩٦٨ بداية تلك المرحلة حيث بدأت قواتنا بقصف قوات العدو على الضفة الشرقية للقناة وعلى طول المواجهة في وقت واحد مكبدة العدو خسائر فادحة في الأفراد والمعدات.

وفي يوم ٢٦ أكتوبر ٦٨ عبرت دورية مصرية إلى الضفة الغربية للقناة تحت ساتر من القصف المدفعي العنيف لقواتنا، وعادت بأسيرين من جنود العدو تحت ستر الظلام.

وردت اسرائيل باغارة على نجع حمادي ليلة ٣١ أكتوبر حيث تمكنت قوة من أفراد الكوماندوز الإسرائيليين تحملهم طائرات الهليكوبتر بوضع عبوات ناسفة في محطة محولات نجع حمادي وقناطر نجع حمادي وكوبري قنا.

وبدأت المواجهة على جبهة القتال تتصاعد يوما بعد يوم.

تدخل الطيران الإسرائيلي بصورة فعالة بعد أن كثفت المدفعية المصرية من قصفها المستمر ضد المواقع الإسرائيلية. وقبل نهاية عام ١٩٦٨ كانت الطائرات المصرية قد بدأت تحد من نشاط إسرائيل الجوي على امتداد جبهة القتال.

وفي الثامن من مارس ١٩٦٩ تطورت الإشتباكات وتصاعدت حدتها لتعلن بداية مرحلة الإستنزاف ضد القوات الاسرائيلية فزادت دوريات العبور إلى الضفة الشرقية للقناة من أجل رفع معدلات الخسائر الإسرائيلية في الأفراد والمعدات،ففي يوم الثامن من مارس قصفت المدفعية المصرية قوات العدو على طول المواجهة وبتركيز شديد لمدة خمس ساعات كاملة.. واستمر القصف يوم التاسع من مارس دون انقطاع حتى تحطم أكثر من ٨٠% من تحصينات خط بارليف ومني الجيش الإسرائيلي بأضخم خسائر عرفها بين ضباطه وجنوده يومها استشهد الفريق أول عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة بين ضباطه وجنوده في الخطوط الأمامية ضاربا أروع صور البطولة والفداء وهو يتابع عن كثب تنفيذ الخطة المصرية المحكمة لتدمير خط بارليف.

وفي الإطار نفسه عبرت أعداد من الجنود المصريين وصلت إلى سرية بل وكتيبة كاملة قامت بالإغارة على النقاط القوية جنوب البحيرات ليلة ٢٢.٢١ ابريل ١٩٦٩ وتم فيها قتل ستة أفراد للعدو والعودة بأسير.

الاغارة على النقطة القوية ١٤٦ على الضفة الشرقية للقناة ليلة ٢٤.٢٣ يونيو ١٩٦٩ حيث تم تدمير عدد من عربات العدو وقتل حوالي خمسة أفراد له. الإغارة يوم العاشر من يوليو ٦٩ على قوات العدو بمعسكر القرش شرق القناة وتدمير دشم الأسلحة بالمواقع.

وفي اليوم نفسه تمت الإغارة على النقطة القوية في لسان بور توفيق حيث أمكن تدمير عدد من الملاجئ والدبابات وقتل للعدو ما يقرب من ٤٠ فردا والعودة بأسير.

أما في يوم الخامس من نوفمبر ٦٩ فقد نصبت القوات المصرية كمينا لقوات العدو بالشط في سيناء ودمرت عربتين للعدو وقتل ثمانية من جنوده وأسر أحد الجنود. وكمين آخر تم ليلة ٦/٥ نوفمبر بمنطقة الشط حيث تم قطع طريق الجباسات وأمكن تدمير دبابة اسرائيلية.

وشهدت منطقة جسر الحرش على الضفة الشرقية للقناة كمينا جريئا تم فيه التعرض لدورية اسرائيلية حيث دمرت دبابتان للعدو وقتل له ١٨ فردا.

وفي يوم التاسع من نوفمبر ٦٩ قامت الوحدات البحرية المصرية بقصف المواقع الإسرائيلية بمناطق رمانة وبالوظة على الساحل الشمالي بسيناء.

كما قامت الضفادع البشرية بهجوم جريء على ميناء (إيلات) الإسرائيلي يوم ١٦ نوفمبر ٦٩ وتمكنت من اغراق ثلاث قواطع بحرية للعدو.

وخلال يوم ١٩ نوفمبر ٦٩ قامت قواتنا بإغارة على النقطة القوية المعادية ١٤٦ للمرة الثانية، حيث تم تدميرعدد من الملاجئ والدبابات والعربات للعدو وبلغت خسائره في الأفراد ٤٠ فردا بين قتيل وجريح.

وفي ١٤ ديسمبر ٦٩ شهدت منطقة سرابيوم شرق القناة كمينا تم فيه تدميرعربة معادية وقتل فردين وأسر ضابط. كما قامت قواتنا البحرية في ٢٧ يناير ١٩٧٠ بقصف مستعمرة (ناحال ديكلا) شرق العريش حيث دمر العديد من المباني وقتل حوالي ٢٢ فردا للعدو، كان لهذا القصف أثره البالغ في اشاعة الفوضى والرعب لقوات الجيش الاسرائيلي بالمنطقة.

وفي الخامس من فبراير ١٩٧٠ قامت قواتنا بعمل كمين للقوات الإسرائيلية على طريق القنطرة . التينة حيث تم تدمير ثلاث دبابات وثلاث عربات للجيش الاسرائيلي. - وشهد ميناء (إيلات) الإسرائيلي للمرة الثانية هجوما جريئا لمجموعة من ضفادعنا البشرية في يوم السادس من فبراير ١٩٧٠، دمر للعدو سفينتين وأصيبت سفينة ثالثة.

كما شهدت النقطة شمالي موقع الشط كمينا يوم ١١ فبرايرتم فيه تدمير عربة لوري محملة بالجنود الاسرائيليين ودبابة وعربتين مدرعتين.

وفي ٢٦ مارس ١٩٧٠ أقامت مجموعة من القوات المصرية كميناً على طريق القنطرة الشط، وتمكنوا من قطع الطريق وتدمير لوري وعربة مجنزرة وقتل للعدو ١٥ فردا.

وفي منطقة رأس العش تم عمل كمين للعدو يوم ٣٠ مايو ،١٩٧٠ حيث هوجمت دورية إسرائيلية ودمرت ثلاث دبابات معادية وعربتان مجنزرتان وقتل ٣٠ جنديا اسرائيليا.

وفي نفس اليوم وفي منطقة التينة على الضفة الشرقية قامت مجموعة أخرى من رجالنا بعمل كمين للقوات الاسرائيلية دمرت خلاله دبابة وعربة مدرعة وقتل ستة أفراد اسرائيليين وأسر جندي آخر. في الوقت الذي فشلت فيه القوات الإسرائيلية في القيام بعمليات خاطفة في جزيرة شدوان.

كما شهد شهر يوليو ١٩٧٠ تحطيم ٢١ طائرة إسرائيلية بعد اكتمال حائط الصواريخ المصري. بعدها صمتت المدافع وفقا لمبادرة روجرز في السابع من أغسطس ١٩٧٠ استعداداً لمعركة التحرير الكبرى التي كانت حرب الاستنزاف خير مقدمة وتمهيد لها على الساحة المصرية والاسرائيلية في الوقت نفسه(١)

---

(١) أحمد فؤاد صحيفة البيان الإماراتية

المبحث الثالث

مصر المهزومة تبدو منتصرة

في حديث لجمال عبدالناصر إلى أساتذة وطلبة الجامعات المصرية عقب مظاهرات الطلبة في نوفمبر ١٩٦٨ يقول الرئيس جمال عبد الناصر: " أنا عارف مدى الغضب ومدى المفاجأة التي أصابتنا جميعا بعد النكسة وبعد إللى حاصل وعارف إن الشعب العربى في مصر غاضب وحزين لأن جيشه نال هزيمة غير مستحقة ولأن سيناء تم احتلالها بس أنا بدى أقول لكم حاجة الرئيس تيتو بعت لى رسالة جت له من ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل بيطلب فيها إنه يقابلني في أي مكان في العالم لنتحدث ولكى نصل إلى حل وبيقول أنه مش هيتعامل معى معاملة منتصر مع مهزوم، وإن إسرائيل مستعدة ترد لنا سيناء من غير شروط مذلة إلا شرط واحد بس أن مصر تبقى دولة محايدة يعني لا قومية عربية ولا عروبة ولا وحدة عربية نبقى في حالنا ومالناش دعوة بإسرائيل ولا نحاربها، إسرائيل قتلت الفلسطينيين وإحنا مالنا، إسرائيل ضربت سوريا إحنا محايدين، ضربت الأردن ،لبنان، مصر مالهاش دعوة وما تتكلمش.

يعنى خدوا سيناء وطلقوا العروبة والقومية والوحدة ونبيع نفسنا للشيطان، أنا طبعا قولت للرئيس تيتو الكلام ده مرفوض القدس والضفة والجولان وسيناء يرجعوا مع بعض، إحنا مسئولين عن كل الأراضي العربية، إحنا مسئولين عن حل مأساة شعبنا العربي في فلسطين، مش هنقبل شروط، ومش هنخرج من عروبتنا، ومش هنساوم على أرض ودم العرب، لن تقبل الجمهورية العربية المتحدة بحل جزئي أبداً، معركتنا واحدة وعدونا واحد وهدفنا واحد تحرير أرضنا كلها بالقوة و لن نقبل مشاريع منفصلة للسلام،

حبيت أنقل لكم الموضوع ده علشان تعرفوا إن المشكلة مش سيناء بس، الأميركان واليهود ضربونا في ٦٧ علشان يساومونا بيها على عروبتنا وعلى شرفنا وعلى قوميتنا"

حديث رئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول مع مجلة نيوزويك الأميركية عدد ١٧ في فبراير ١٩٦٩ يؤكد كلام ناصر يقول أشكول: خلال العقدين الأخيرين كررنا دائماً في إسرائيل قولنا بأننا مستعدون لمناقشة مشاكلنا مع ناصر، مازلت مستعداً لأن أطير إلى القاهرة، ولن أتحدث مع ناصر كمنتصر ولكنى سأبلغه أن إسرائيل مستعدة لإعادة سيناء كاملة إلى مصر وبدون أى قيد أو شرط حيث فلم يكن لإسرائيل في أى وقت طلبات من أجل نزع سلاح سيناء، ولكن بالنسبة لمرتفعات الجولان والقدس و الضفة الغربية فإسرائيل ببساطة لن تتنازل عنها، سنرد لناصر سيناء بدون شروط مقابل أن يهتم بشئون مصر ولا يتدخل في شئون الدول العربية الأخرى"

في أحاديثه الإعلامية الأخيرة قبل وفاته كشف الأستاذ هيكل عن تفاصيل العملية المخابراتية (عصفور) في ٦ ديسمبر ١٩٦٩ توجه السيد أمين هويدى مدير المخابرات العامة المصرية الأسبق إلى منزل الرئيس عبد الناصر ومعه تسجيل لحديث دار بين الوزير المفوض الأميركى في سفارة الولايات المتحدة في إسرائيل ومديرة مكتبه مع السفير الأميركى في القاهرة وممثل المخابرات المركزية الأميركية في السفارة الأميركية في القاهرة في عملية مخابراتية نظيفة

استمع الرئيس عبد الناصر إلى الحديث و الذى جاء فيه :

أن عبد الناصر هو العقبة الرئيسية في قيام علاقات طبيعية بين المصريين والإسرائيليين.

وأن هناك حالة من الإلتفاف الشعبى المصرى والعربى حول عبد الناصر تجعل السلام مع إسرائيل بالشروط الأميركية مستحيلاً.

وأن مصر التي كانت من المفترض أنها مهزومة تبدو منتصرة في حين أن إسرائيل التي كان من المفترض أن تبدو منتصرة تبدو مهزومة بسبب حرب الاستنزاف.

وأن سمعة "موشى ديان" أكبر بكثير من إمكانياته الشخصية.

وأن قادة إسرائيل (جولدا مائير، موشى ديان، أهارون ياريف، إيجال أللون) أجمعوا على أن بقاء إسرائيل ونجاح المشروع الأميركى في المنطقة مرهون باختفاء الرئيس جمال عبد الناصر من الحياة وأنهم قرروا إغتياله بالسم أو بالمرض.

أما جولدا مائير رئيسة وزراء العدو فقالت بالنص :

(we will get him) سوف نتخلص منه وإلا فالعالم العربى ضائع وسيخرج من نطاق السيطرة الأميركية،ومستقبل دولة إسرائيل في خطر بالغ

ولشدة خطورة تلك المعلومات فضل هويدي أن يستمع الرئيس عبد الناصر بنفسه للتسجيل كاملاً.

رفض ناصر عقب عقب نكسة ٥يونيو ١٩٦٧ كل عروض السلام الإسرائيلية بعودة سيناء فقط إلى مصر مقابل سلام وصلح منفرد بين مصر وإسرائيل والتخلي عن الأراضي العربية المحتلة، وفى مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ يغلق باب المساومات أمام الصهاينة فيصرح بكل قوة بلاءاته الثلاث(لا صلح)(لا اعتراف) (لا تفاوض) لتبداء مصر مرحلة جديدة عرفت في التاريخ المصري بحرب الاستنزاف التي استمرت ثلاث سنوات من ١٩٦٧ –

١٩٧٠ هذه الحرب المنسية التي أكدت علي بسالة الجندي المصري واستخرجت له شهادة ميلاد جديدة وبأنه لم يمت ومازال علي قيد الحياة المزعج في تلك الحرب المظلومة ليس في تاريخ ناصربل في التاريخ المصري عموماً أن هناك بعض الكتاب والأقلام والمؤرخين الغير منصفين تجاهلوها ليلصقوا بناصر هزيمة ١٩٧٦ ويمحو دوره التاريخي والبارز في حرب أكتوبر١٩٧٣.

ثم كانت صرخته الشهيرة (ماأخذ بالقوة يجب أن يسترد بالقوة)

فكانت ضربة البداية الغير متوقعة والتي أذهلت العالم وادهشت الشعب المصري وأعادت له الأمل والنهار من جديدمعركة رأس العش بعد أقل من شهر بعد نكسة ١٩٦٧ يتمكن عدد محدود من جنود الصاعقة من صد هجوم بعض الدبابات الإسرائيلية وانتهى القتال الذي دام أياماً بإيقاف تقدم القوات الإسرائيلية نحو جنوب بورسعيد، ولم تعاود القوات الإسرائيلية الهجوم عليها أبدا، وظلت رأس العش المنطقة الوحيدة التي لم تدنس بأقدام الاحتلال والقوات الإسرائيلية [١]

بدأت المعركة فى تمام الساعة الثامنة والنصف مساء يوم السبت ١٩٦٧/٧/١ حتى ١٩٦٧/٧/٤ سميت المعركة برأس العش نسبة الي القرية الصغيرة التي تسمي رأس العش التي وقعت فيها أحداث المعركة تقع هذه القرية جنوب بورسعيد بحوالى ١٤كم ويحدها من الشرق والغرب قناة السويس تعتبرمعركة رأس العش هي بداية رفع الروح المعنوية للجيش المصري وللشعب المصري لذلك يقف المؤرخون المنصفون عندها طويلاً حيث استطاعت مجموعة من ضباط وجنود رجال الصاعقة على مدى أربعة أيام

---

[١] إبراهيم خليل إبراهيم كتاب وطني حبيبي عن حرب أكتوبر

متواصلة من صد هجوم العدو المدرع بسرية دبابات ومنعتها من التقدم ناحية منطقة (الكرانتينا وبورفؤاد) وكبدت العدو خسائر فادحة فى المعدات والأرواح.

عبر رجال الصاعقة لقناة السويس لمنع تقدم العدو تجاه بورفؤاد ولمنع ارتداده تجاه القنطرة شرق..

كانت المجموعة الأولى بقيادة م. أ. الشهيد جابر الجزار بدأت المجموعة فى التعامل مع العدو المتقدم ناحية بورفؤاد واستمرت المعركة ثلاث ساعات وتم تدمير ثلاثة دبابات + ثلاثةعربات وقتل معظم أفراد العدو.

أسفرت هذه المعركة عن استشهاد الملازم أول الجزار ومعظم أفراد مجموعته ودفع العدو بخمس عربات جنزير محملة بالذخيرة فتصدت لها المجموعة الثانية بقيادة الملازم عبدالوهاب الزهيرى وتم قتل أفرادها والإستيلاء على المركبة والذخيرة وترحيلها غرب القناة.

وفى يوم الأحد ١٩٦٧/٧/٢ حاول العدو التقدم لضرب بورفؤاد فتصدى لهم الملازم أول الزهيرى وتم تدمير ثلاث دبابات وست عربات وتم إيقاف تقدمه تماماً وتم التعامل مع عربة للعدو الإسرائيلى تعطلت فى حقل الألغام وتم تدميرها والحصول على المعدات والوثائق المهمة الموجودة بها.

وفى الخامسة من صباح الثلاثاء ١٩٦٧/٧/٤ تم الاشتباك مع قوات العدو ناحية بورفؤاد وتم تدمير خمس عربات جنزير وانسحب العدو ناحية القنطرة شرق ولم يستطع العدو دخول بورفؤاد[١]

---

(١) عشر معارك للصاعقة من حرب الاستنزاف حتى نصر أكتوبر محمد محمود فايد(بوابة

ليستعيد المقاتل المصري إرادته وصلابته لتصل رسالته للعالم أجمع أن الجيش المصري مصمم علي استرجاع أرضه والأخذ بثأره.

في كتابه الضخم الذى يحمل عنوان (باسم السماءالسرب الأول فى حرب يوم الغفران) للمحاضر والباحث العسكرى الإسرائيلى إفيرام باركاى يتحدث عن معركة رأس العش فيقول

:فى كمين محكم بدأت قوة صغيرة مصرية مزودة بالسلاح الشخصى والقذائف المضادة للدبابات فى إطلاق النار على دورية كانت فى طريقها شمالاً إلى رأس العش فى منطقة المستنقعات الكبرى ، وعند منتصف الليل ومع انتهاء المواجهات التى شهدت إطلاق مدافع الهاون وقذائف الدبابات نجح المصريون فى استعادة بعض من ماء الوجه، وأعطوا مؤشراً للجيش الإسرائيلى أن أحفاد الفراعنة مصممون على بدء اليوم السابع لحرب يونيو"

في الواقع أن فترة ما بين الحربين (حزيران- يونيو٦٧، تشرين الاول- أكتوبر٧٣). والتي استمرت نحو ست سنوات ونصف السنة. كانت فترة كمون وإعداد ثم اختمار وانطلاق نحو القفزة الكبرى.. ونحن نستطيع أن نقدر هذه الفترة حق قدرها في سياق الصراع العام إذا حللناها إلى مراحل تطورية. فهناك أربع مراحل أساسية

(الصمود)
(الردع)
(الاستنزاف)
(وقف اطلاق النار)

أخبار اليوم)

فالصمود من يونيو ٦٧ حتى أغسطس ٦٨" سنة وشهران.. هي مرحلة "الدفاع الحذر" تخللتها معارك رأس العش والمدمرة إيلات وبعض معارك جوية متحدية.

والردع من سبتمبر٦٨ حتى فبراير ٦٩" مدة ستة شهور. هي مرحلة الدفاع النشط " تلخصها معارك المدفعية التي اتصل فيها التراشق بالنيران عبر القناة.. وكان من نتائجها بناء العدو لخط بارليف الأول.

أما مرحلة الاستنزاف من مارس ٦٩ حتى أغسطس ٧٠" مدة سنة ونصف السنة.. فتعد مرحلة " الهجوم الحذر" ففيها تم تدمير خط بارليف ألأول بالمدفعية المكثفة المستمرة طوال شهرين مارس وأبريل ١٩٦٩ ثم توالى عبور الكوماندوز ليلاً ونهارا بقوات متزايدة بلا انقطاع، كما تكررت غارات الضفادع البشرية على موانئ العدو تحرقها وتغرق سفنه فيها، هذا فضلاً عن الغارات والمعارك الجوية المتصاعدة، وذلك كله في وجه غارات العدو المضادة على الجزر المنعزلة والعمق المدني إلى جانب جبهة القناة.

أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي مرحلة وقف إطلاق النار من أغسطس ٧٠ حتى أكتوبر٧٣" مدة ثلاث سنوات وشهران.. وهي فترة اللاحرب واللاسلم (١)

من هذا التصنيف نرى أن فترة ما بين الحربين تكاد أولاً تنتصف ما بين مراحل الدفاع بأشكاله ودرجاته المختلفة ومابين مرحلة اللاحرب واللاسلم "ثلاث سنوات وشهران لكل منهما".. والمراحل الدفاعية الأولى تكاد بدورها تنتصف بين الصمود والردع السلبي في جانب وبين الاستنزاف الإيجابي في

(١) دكتور جمال حمدان في كتاب (السادس من أكتوبر في الاستراتيجية العالمية)

الجانب الآخر.. "حوالي سنة ونصف السنة لكل منهما".. وإذا كان العدو قد تفرغ في مرحلة وقف النار لبناء خط بارليف الثاني وتدعيم وجود في سيناء فقد تفرغت القوات المصرية للتدريب الداخلي النهائي والحاسم وإعادة بنائها وتطويرها للمعركة الكبرى وهكذا ترسم المراحل مجتمعة عملية متنامية متصاعدة تتعاقب وتتكامل في زحف صاعد منتظم من البناء العسكري والاختبار الحربي وكانت كلها بخبراتها وتجاربها ونتائجها مدرسة عملية أخرى بالفعل وتدريبات جزئية مجزأة على معركة التحرير الكبرى في أكتوبر هنا ثبت أن سنوات ما قبل المعركة تلك السنوات " الست" القاسية والصبور لم تكن سدى ففي هذه الفترة أتيح لقواتنا وقياداتها المجال لنوعين أساسيين من التدريب والتجريب

(١) تدريب نموذجي معملي.

(٢) تدريب ميداني واقعي .

فبالتخطيط الثاقب الواعي والإرادة المصرة، جرى التدريب الشاق المثابر العنيد " مايقرب من ٣٠٠ تجربة على ماكيت" إقليمي من الحجم الطبيعي وفي لاندسكيب طبيعي اختير بعناية وعن عمد ليكون أقرب شبهاً ببيئة القناة ومسرح القتال سواء تضاريس أرض أو عمق مجرى أو سرعة تيارات علي منطقة من قطاع من ترعة الإسماعيلية حيث أقيم سد ترابي مشابه تماما لسد العدو هي هذا المسرح التدريبي والتجريبي على العبور والاختراق.

كذلك أجريت عملية التدريب أحيانا على قناة السويس نفسها في قطاع يزدوج فيه عملية التدريب أحياناً على قناة السويس نفسها في قطاع يزدوج فيه مجراها.. حيث تتوسط المجرى (جزيرة البلاح) الغربي بينما كانت تسيطر عليه قواتنا سيطرة كاملة وفي مأمن تام من أنظار العدو وأخطاره ولا يظن أحد أن

هذه التجارب والتدريبات حتى كتجارب وتدريبات كانت بالمهمة السهلة ففضلاً عن صعوبات توفير المسرح الملائم بالمواصفات المحددة كانت هناك اعتبارات إمكان استخدام الذخيرة الحية وبإحداث خسائر في الأرواح والممتلكات والمزروعات بل والأرض الزراعية نفسها كذلك ضرورة إقامة ثم هدم الساتر الترابي الصناعي عدة مرات في كل تجربة واحدة ثم تكريك وتطهير المجرى المائي من ردمها بعد تلك المرات وإعادته إلى مكانه على الأرض من جديد مع ما يعني من مضاعفة أحجام مكعبات الردم والتكويم والتكريك عدة أضعاف الحجم الكلي للعملية الحقيقية الواحدة نفسها في ميدان القتال الفعلي.

فتدريب وحدة هندسية واحدة " من ٨٠ وحدة مطلوبة" كان يستدعي تحريك حجم من الأتربة والوحل يعادل ١٢ مرة مثل ما سنقوم بإزاحته فعلاً أثناء المعركة، في حين ترتفع هذه النسبة إلى ١٥ ضعفاً بالنسبة لمجمل العملية كلها تجريباً وتدريباً بهذا كله وبمثله وبغيره كانت العملية قد أصبحت بمثابة الأمر اليومي أو حتى الخبز اليومي بالنسبة للمهاجم المصري المقتحم كل المعدات والأسلحة جاهزة مشونة في أماكنها بالضبط لساعة الصفر وكل فرد يعرف دوره ومكانه ولحظته المحددة، مما حقق ساعة التطبيق نتائج قياسية مذهلة من الكفاءة والاقتدار والنجاح فاقت أعرض أحلام التخطيط نفسه وأشد توقعاته تفاؤلاً[١]

وفي يومي الرابع عشر والخامس عشر من شهر يوليو عام ١٩٦٧ قامت القوات الجوية المصرية بطائراتها المتبقية بغارة ضد المواقع الإسرائيلية قرب القنطرة وفجرت ودمرت تشوينات الأسلحة والذخيرة التي جمعتها إسرائيل من سيناء، ولاحت بوادر استرداد الثقة حينما تمكنت لنشات الصواريخ المصرية

---

(١) كتاب حرب رمضان تأليف حسن البدري وطه المجدوب

قرب بورسعيد في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٦٧ من اغراق المدمرة الإسرائيلية (إيلات)والتي كانت تعادل ثلث المدمرات الإسرائيلية الموجودة بالبحر.وتوالت قصفات المدفعية المصرية علي طول مواجهة قناة السويس حتي عشرين كيلو مترا داخل سيناء. وفي عام ١٩٦٨ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر القانون رقم ٤ الذي نظم وضع القوات المسلحة ضمن الإطار العام لأجهزة الدولة وحدد بمقتضاه سلطات فعالة لرئيس الجمهورية بوصفه القائد الأعلى، واختصاصات وزير الحربية ورئيس الأركان، وتم إعادة تنظيم المناطق العسكرية لتغطي ارض مصر كلها، وتم علي أساس هذا التنظيم تحويل تنظيم قيادة المنطقة العسكرية الشرقية التي كانت تخضع لها من قبل وحتي عام ١٩٦٧. القوات الموجودة في سيناء، ومنطقة القناة بقيادتين ميدانيتين اقتسمتا الجبهة بالتساوي وهما : الجيش الثاني الذي كلف بالقطاع الشمالي من الجبهة، والجيش الثالث الذي كلف بالقطاع الجنوبي، وأنشئت أيضا قيادة قوات الدفاع الجوي وأصبحت مع أوائل عام ١٩٦٨ م بمثابة القوة الرئيسية الرابعة في القوات المسلحة.

بعد وفاة ناصر يقول هنري كسينجر وزير الخارجية الأميركي الأسبق فى مذكراته :أشعر بسعادة بالغة لنبأ وفاة الرئيس عبد الناصر لأن وجوده بسياسته الراديكالية المعادية للمصالح الأميركية في الشرق الأوسط كان يمثل أكبر عائق لتنفيذ الأهداف الأميركية في المنطقة الأهم للولايات المتحدة في العالم، الوقت أصبح مناسب للوصول لحل سلمى للصراع بين مصروإسرائيل بشرط أن يكون هذا الحل أميركى، وأن يتضمن ثلاثة شروط :

١ طرد النفوذ السوفيتى من المنطقة كلها.

٢ الإبقاء علي مصر ضعيفة غير قادرة على التأثير بأى نفوذ على الإطلاق في العالم العربى.

٣ أن تظهر التجربة الثورية التى قادها ناصر في مظهر التجربة الفاشلة.

أما صدي وفاة ناصر في تل أبيب فقد كان له صدي ووقع مختلف فيقول بن جوريون :(كان لليهود عدوين تاريخيين هما فرعون في القديم، وهتلر في الحديث، ولكن عبد الناصر فاق الأثنين معاً في عدائه لنا، لقد خضنا الحروب من أجل التخلص منه حتى أتى الموت وخلصنا منه).

أما حاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلى فيقول: (بوفاة جمال عبد الناصر أصبح المستقبل مشرقاً أمام إسرائيل و عاد العرب فرقاء كما كانوا وسيظلون فلن يحظوا بشخصية قيادية كاريزماتية مثل ناصر).

أما المفكر الإسرائيلى آمنون روبنشتاين فيذهب بالقول: إن مصر يجب آلا تكون طرفا في الصراع العربى الإسرائيلى، إن تورط مصر الكبير في النزاع العربى الإسرائيلى تمخض بصفة خاصة بسبب سياسة جمال عبد الناصر التى كانت تقوم على ركنين أساسيين يعوزهما الحكمة :

١ إمكانية وجود وحدة عربية.

٢ معاداة الغرب

فلم تكن هزيمة ٥يونيو ١٩٦٧ بسبب فشل نظام حكم عبد الناصر بل كانت عقاباً أميركياً على نجاح عبد الناصر في بناء نموذج ثورى اقتصادى

واجتماعي ناجح شكل خطراً جسيما على المشروع الأميركى والصهيونى في الوطن العربي.

فكانت حرب الإستنزاف التى قادها عبد الناصر باقتدار وحنكة هى الخطوة الأولى نحو العبور العظيم.

وبعد رحيل ناصر دخلت مصر حرب أكتوبر وهى محكومة بكل آليات النظام الناصرى القطاع العام الذى يقود التنمية هو الذي دشنه ناصر والجيش المصرى الذي بناه عبد الناصر عقب الهزيمة هو نفس الجيش الذي خاض حرب أكتوبر وحائط الصواريخ الذي حركه عبد الناصر لحافة القناة قبيل وفاته هو الذي حمي مصر وقطع ذراع إسرائيل الطولي هو الذي حمي سماء مصر فيما بعد وخاصة أثناء حرب أكتوبر ،والخطط العسكرية التي وضعها ناصر كانت هي اللبنة والركيزة الأساسية لقادة أكتوبر في حرب أكتوبر وإن طراء عليها بعض التعديلات فهزيمة ١٩٦٧ لم تكن نهاية التاريخ [١]

---

[١] عبد الناصر وحرب الاستنزاف عمرو صابح

الفصل الثالث

المبحث الأول

هزيمة الموساد الإسرائيلي

" الجيش المصري والجيش السوري مستعدان لشن هجوم على إسرائيل يوم السبت ٦,١٠,١٩٧٣ عند الغسق "

كان هذا هو نص السطر الأول من الوثيقة، التي تم إرسالها من رئيس الموساد آنذاك، تسيفي زامير إلى زعيم الجيش تحت قيادة رئيسة الوزراء جولدا مائير.

بناءاً علي تعليمات المخابرات العامة المصرية في سيناريو مخابراتي محكم في ستينيات القرن المنصرم اتصل أشرف مروان المقرب من الرئيس المصري آنذاك أنور السادات وصهر الرئيس السابق جمال عبد الناصر بالموساد وتظاهر بتقديم خدماته لتل أبيب قبلت وكالة التجسس بسهولة، وأعطته الاسم الرمزي (الملاك).

قبل يومين من اندلاع الحرب، اتصل مروان بمديره في الموساد وطلب عقد اجتماع مع زامير من أجل تحذيره من الهجوم المصري الوشيك وتقديم معلومات حول كيفية شن هذا الهجوم.

في أبريل ١٩٧٣، وردت معلومات عن هجمة تبدأ يوم ٧ مايو.

ثم وردت معلومات لاحقة عن أن الهجوم سيكون في أخر مايو أو أول يونيو.

وفي آخر أبريل وصلت معلومات إلي جهاز الموساد أن الحرب ستندلع إما يوم ١٩ مايو أو ١٦ يونيو، ثم وردت معلومات جديدة في أول مايو أكدت أن الحرب ستبدأ يوم ١٩ من الشهر ذاته، قبل أن ترد معلومات أخرى أن الحرب قد تندلع في أيام الإحتفال بيوم الاستقلال في إسرائيل (١١-١٢ مايو).

كانت معظم المعلومات التي حصل عليها الموساد في الأشهر الثلاث قبل اندلاع حرب أكتوبر تعتمد على عملاء لهم في مصر، لكن معظم عملائهم ذكروا في تحليلاتهم للمعلومات التي وردتهم وأرسلوها بدورهم للجهاز الإسرائيلي أن السادات لم يغير وجهة نظره ولن يبدأ الحرب.

لم تكن هذه المعلومات هي أهم ما اعتمد عليه الموساد في تقدير موقفه وتحركاته،

ففي يوليو ١٩٧٣، أرسل مصدر عالي المستوى وصلته معلومات تقول إن: الحرب ستبدأ في نهاية سبتمبر أو أول أكتوبر، كما أكد إن هذه المعلومات من وجهة نظره ليست جدية، وأن هذا التاريخ سيعبر كما عبر ما قبله، لذا ونظرًا لرفعة مستوى المصدر وخبرتنا في التعامل معه كان رأيه وتحليله مؤثرًا جدًا لتحليلات الموساد [١].

في ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣، استقبلت رئيسة الوزراء الإسرائيلية آنذاك، جولدا مائير، شخصية عربية رفيعة المستوي في لقاء شهير لكن تفاصيله وضعت في

---

[1] أريه شاليف رئيس قسم البحث بالموساد الإسرائيلي كتاب **Israel's Intelligence Assessment Before the Yom Kippur Wa**

سياج من الأقاويل المتضاربة. الظروف التي حدث فيها اللقاء ومحتواه مازال محل جدل.

طلبت الشخصية العربية رفيعة المستوى مقابلة جولدا مائير قبل موعد اللقاء بيومين موضحًا لها أن أهمية هذا اللقاء يستدعي أن تغير جدول مواعيدها.

وافقت جولدا وتقابلا في مبنى تابع للموساد بالقرب من تل أبيب.

اصطحبت الشخصية العربية رفيعة المستوى رئيس وزراءه، واصطحبت مائير مستشارها السياسي ومدير مكتبها، موردخاي جازيت، بالإضافة إلى سكرتيرها(لو قادر).

اختلفت الرؤى حول هذا الاجتماع، ففيما رأى رئيس فرع الاستخبارات الإسرائيلي، إيلي زامير، أن اللقاء أتى لتحذر الشخصية العربية رفيعة المستوي رئيسة الوزراء من اندلاع حرب وشيكة علي الجبهة المصرية السورية.

التقي الثنائي في نوفمبر١٩٧٢ ويوليو١٩٧٣ وأغسطس وسبتمبر من نفس العام.

كان الموساد يسجل ويذيع عبر دائرة تلفزيونية مغلقة لقاء جولدا مائير مع الشخصية العربية رفيعة المستوي دون معرفة الأخير، حيث انبرت مجموعة صغيرة من العاملين بالجهاز المخابراتي في تدوين ملاحظاتهم.

ذُكر تحذيره من الحرب في صفحة ٩ من محضر الاجتماع الذي أُرسل في الساعة ٦ صباحًا من اليوم التالي لوزير الدفاع، موشيه ديان، ورئيس الأركان، ورئيس فرع الاستخبارات.

ويعزز هذه الرواية ما قاله السكرتير العسكري لرئيسة الوزراء آنذاك، إسرائيل ليئور، في مذكراته: ذهبت إلى مكاتب وزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس فرع الاستخبارات كي أطلعهم على المستندات التي تحتوي على التحذير من الحرب، ديان قرأها وداود قرأها وإيلي زاميرا أيضًا، وكان رد فعلهم جميعًا باردًا وغير مهتم"

رواية أخري لهذا الحوار يسرده الصحفي موشيه وكانت كالآتي:

الشخصية العربية رفيعة المستوي:تم إخبارنا عن طريق مصدر موثوق أن كل وحدات الجيش السوري في وضعية استعداد للهجوم، فقط وحدة واحدة مرتكزة في الجنوب السوري، ومهمتها حماية الحدود إذا حاولت إسرائيل أن تقوم بهجمة مرتدة"

مائير: وما دلالات ذلك؟

الشخصية العربية رفيعة المستوى : لا أعلم إذا كان له مدلولًا لكن لدي بعض التحفظات لكني لست متأكدًا"

(مائير): هل يمكن لسوريا أن تشن هجومًا بدون مصر؟

الشخصية العربية رفيعة المستوي : لا أعتقد أنها ستتصرف وحدها، أعتقد أن مصر ستنضم إلى سوريا في حالة الحرب. (١)

---

(١) الصحفي موشيه زاك، كتاب **The Secret Relations between Jordan and Israel**.

في ٢٤ سبتمبر، وفي اجتماعات للقيادات العليا للجيش والمخابرات الإسرائيلية، ذكر "شاليف"(١)

إن الصور الأخيرة للقوات السورية توضح اكتمال استعداداتهم التي كانت قد بدأت في الرابع من الشهر نفسه، لكن الرد عليه من رئيس الأركان كان أنه "من غير المنطقي وغير جائز الحدوث أن تشن سوريا الحرب وحدها بدون مصر إذا كان هناك حرب من الأساس"

ورغم ذلك أصدر رئيس الأركان أوامره بزيادة عدد الدبابات في هضبة الجولان من ٧٠ إلى ١٠٠، لكنه أصر على رأيه بأن شيئًا لن يحدث عندما اجتمع بوزير الدفاع "ديان" لاحقًا موضحًا له: أعتقد أن هذا الأمر كله غير جائز الحدوث"

في ٢ أكتوبر، أصدر قسم البحث بالموساد تقرير مخابراتي بعنوان (الخطة السورية لاقتحام الجولان تحليل) وتضمن كل المعلومات وتفصيلات التحركات السورية وتفاصيل الاستعدادات، لكن التقرير ذكر أنه:بالرغم من أن التحضيرات السورية تهيئهم للهجوم إلا أن السوريون مدركين أن الأوضاع العسكرية والسياسية ليست مهيئة، وأن لديهم نقاط ضعف كبيرة وأساسية.

في الساعة ٢ صباح يوم ١ أكتوبر رن الهاتف في مبنى الموساد، كان على الخط مصدر مصري موثوق به، يخبر إسرائيل أن الجيشين المصري والسوري سيشنان الحرب في الصباح تحت القيادة المصرية، وسريعًا تم تمرير المعلومة

---

(١) كتاب **Israel's Intelligence Assessment before the Yom Kippur Wa**. المصدر السابق بتصرف.

للجهات المختصة في الجهاز، كنا على علم بالتدريبات المصرية الكبيرة التي تتم وتحركات وتغييرات الضباط، وتوقع القسم المصري أن تكون هذه المعلومة تتعلق بتلك التدريبات، لكن رغم ذلك تم الاهتمام بالمعلومة كونها قادمة من مصدر موثوق.

"أعطيت تعليماتي لرئيس القسم المصري أن يتجاهل القرار السياسي بالحرب وأن يبحث إذا ما كانت مصر قد قامت باستعدادات للقيام بحرب في الصباح وإذا كانت قد أعلنت حالة التعبئة العامة من أجل ذلك، لكن البحث قال أن أي من تلك الاستعدادات لم تحدث".

وقد اقترح (شاليف) حسب قوله، أن يقم الجيش الإسرائيلي وسلاح الجو بالاستعداد على الجبهة المصرية تحسبًا لأي شيء، لكن اقتراحه لم يلقى اهتمامًا.

قبل حوالي ٤٠ ساعة من اندلاع الحرب، تلقى الموساد، حسب رواية رئيسه حينها، تحذيرًا من مصدر رفيع أن الحرب ستندلع، ما نفاه مدير الموساد حينها قائلًا إن كل ما قاله المصدر هو أن (شيئًا ما سيحدث) وهو ما نقله بدوره إلى رئيس الأركان ووزير الدفاع صباح يوم ٥ أكتوبر.

طلب المصدر في تلغراف مساء يوم الرابع من أكتوبر مقابلة مدير الموساد، والذي كان مكلفًا بالتعامل معه عدة مرات من قبل، للحديث عن الحرب، دون توضيح تفاصيل، وقد وصل التلغراف لمكتب مدير الموساد زامير في الساعة الثانية ونصف صباح الخامس من أكتوبر، وتبعه مكالمة تلقاها زامير في منزله من رئيس قسم الاستخبارات يخبره فيها برحيل الخبراء الروس من مصر

وسوريا، كانت المكالمة في ذلك التوقيت تعني أن الرجل يشعر بشيء غير طبيعي يحدث.

لم يذكر مدير الموساد في اجتماعه مع مدير فرع الاستخبارات أي شيء عن تلقيه تقرير من مصدر رفيع عن حرب وشيكة. المصدر اقترح لقاء ليلة ٥ أكتوبر، إذا كان واثقًا من وقوع الحرب كان يمكن أن يقول قبل لقاء زمير، لكنه لم يقل، لكن في رأي المسؤولين الرفيعين، وفي ظل حالة التوتر العالية في تلك الفترة، كان من الطبيعي أن يكون المصدر يريد أن يناقش خطر الحرب.

يقول شاليف: وهو ما اتفق فيه مع (زامير) لاحقًا في التحقيقات عقب الهزيمة أن الأمركان واضحًا أنه «تحذيرًا من الحرب"[١]

كشفت وزارة الدفاع الإسرائيلية عن مجموعة من وثائق لجنة أجرانات، التى شكلتها إسرائيل للتحقيق فى أسباب الهزيمة الصاعقة التى تكبدها الجيش الإسرائيلى في حرب كيبور يوم الغفران (حرب أكتوبر)

تتضمن الوثائق، التى أفرجت عنها وزارة الدفاع الإسرائيلية، الشهادة التى أدلى بها العميد شموئيل جونين، قائد المنطقة الجنوبية بالجيش الإسرائيلى، خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، الذى مثل عدة مرات أمام لجنة التحقيق.

سمح الجيش الإسرائيلى بالكشف عن وثيقتين فقط من شهادته وحجب بقية الشهادات.

---

[١] نفس المصدر السابق.

تشير الوثيقة إلى شهادة جونين، الذى كان يلقب باسم (جوروديش) عند مثوله أمام لجنة (أجرانات) للتحقيق، فى ديسمبر ١٩٧٣.

ُطلب منه أولاً أن يشرح الأجواء التى كانت سائدة فى الجيش الإسرائيلى خلال الفترة التى سبقت اندلاع الحرب.

أكد جونين أن هذه الأجواء أثرت بالفعل على طريقة التعامل مع المعلومات الاستخباراتية، وساق مثالاً علي ذلك عبر الإشارة إلى المناقشات التى كانت تجريها قيادة أركان الجيش الإسرائيلى، مطلع عام ١٩٧٣، فيما يتعلق بتقليص فترة الخدمة للجنود النظاميين بالجيش الإسرائيلى، ويقول:كان الافتراض الأساسى فى النقاش حول تقصير فترة الخدمة، قائماً على أننا لن ندخل حرباً جديدة خلال السنتين القادمتين على الأقل"

أردف جونين للجنة أنه قبل أن يتولى قيادة المنطقة الجنوبية بالجيش الإسرائيلى صدرت وثيقة تتضمن ١٤ دليلاً على استعداد مصر للحرب، وكان ينبغى أن تؤدى تلك الأدلة إلى لفت انتباه الجنود إلى الاستعدادات المصرية لشن الحرب، وكان من بينها أدلة متقدمة للغاية، مثل رصد جنود قوات خاصة (كوماندوز) مصرية فى الخطوط المتقدمة على الجبهة المصرية، وكانوا يرتدون ملابس مموهة وأحزمة مختلفة عن الأحزمة التى كان يرتديها بقية جنود الجيش المصرى، وكان جنود الكوماندوز المصريون لا يلتزمون بالأماكن المعتادة، حتى إذا شاهدوا الجنود الإسرائيليين.

(يجال يادين) رئيس الأركان الإسرائيلى الأسبق أحد أعضاء لجنة أجرانات اهتم بوثيقة الإنذار المبكر التى تحدث عنها (جورودیش) وبدأ التحقيق معه، وسأله

هل وصلت الوثيقة إلى مستوى الجنود العاملين فى المواقع؟

وهل وصلت مكتوبة أم لا؟

فأجاب (جورودیش) بأن الوثيقة كان ينبغى أن تصل إليهم فعلاً، لكنه لا يعرف ما إذا كانت قد وصلتهم مكتوبة أم لا،

كل الأمور التى حدثت على الجانب المصرى كانت تحدث بدقة، لكن على عكس الأمور المكتوبة هنا، وهى أمور لم يكن يخطر على بال أحد أن تحدث. على سبيل المثال، سمعنا شهادات عن (فجأة نصب المصريون خيمة ضخمة علناً)، (يادين) أليس من المحتمل أن تكون الوثيقة التى تحدثت عنها قد وقعت فى يد المصريين؟

(جورودیش) سيادة اللواء (يادين) سوف أسلمك التقارير التى رأيناها، وقد أتيت الآن لأقول إن كل الأدلة التى تم رصدها فى الوثيقة كانت حقيقية وموجودة بالفعل.

ويصر (يادين): على العكس تماماً، لم يكن هناك أى من تلك الأدلة.أليس ممكناً أن تكون تلك الوثيقة قد وصلت إلى يد المصريين، وتعمدوا أن يتصرفوا على العكس تماما من تلك الأدلة المذكورة فى الوثيقة الإسرائيلية؟. فكل ما فعله المصريون أمور غير طبيعية. على سبيل المثال، أصبح الجنود يسيرون بلا أحزمة ، وبلا قبعات مميزة أو واضحة، نصبوا الخيام بدلا من إزالتها، وبدلا من

أن يختفى الجنود من الساحة ذهبوا لصيد السمك، وحصلنا على تقرير من الوحدة (٨٤٨) وهى وحدة التنصت التابعة للجيش الإسرائيلى (تحول اسمها اليوم إلى الوحدة ٨٢٠٠ إيه إم دى)

فى تلك الفترة كان عدد الاتصالات التى أجراها الجنود بذويهم أقل كثيراً مما كان عليه فى ١٥ مايو ١٩٧٣ على سبيل المثال، وبالنسبة لحركة العربات، حصلنا مثلا على معلومات بأنهم كانوا يتظاهرون بأنهم يسيرون بعرباتهم إلى الشمال، ثم يعودون إلى الجنوب، وبالنسبة لطرد وإخلاء السكان من منطقة القناة، وجدنا أن العكس هو ما حدث ،ففجأة وجدناهم يقولون إنهم يحضرون مواطنين، ومن بينهم نساء وأطفال كى يعملوا.

أليس من المحتمل أن تكون هذه الوثيقة قد سقطت فى أيدى المصريين، وتعمدوا التصرف على عكس ما ورد فيها؟

وأصر أعضاء لجنة التحقيق، خاصة (يادين) ورئيس الأركان الإسرائيلى الأسبق (حاييم لاسكوف) ورئيس اللجنة (شمعون أجرانات) على كشف المزيد من المعلومات حول تلك الوثيقة، وحجم انتشارها، حتى تأكدت مخاوفهم فى النهاية من أن الوثيقة كانت من البداية لدى المخابرات المصرية.

ثم جاء دور (أجرانات) فتوجه بالسؤال إلى (جوروديش) عما إذا كان يريد أن يقول أن هذه الأدلة التى رصدها الجيش الإسرائيلى عن استعداد المصريين للحرب لم تكن موجودة؟

فأجاب جوروديش: ما أقوله بدقة إن كل هذه الأدلة لم تظهر أبدا حتى لحظة إطلاق النيران واندلاع الحرب.

كما اعترف (جورديش) بأنه لم يكن قلقا بشأن اندلاع الحرب، وأنه أدخل جنوده إلى درجة الاستعداد فقط فى الساعة السادسة والنصف من صباح يوم السبت ٦ أكتوبر١٩٧٣، فى الوقت الذى كانت تملك فيه إسرائيل معلومات شبه أكيدة بأن الحرب ستندلع فى مساء ذلك اليوم.

لكن هل كان هناك وثائق من العميل بابل(الملاك) نبهت رئيس الموساد عن موعد وتوقيت الحرب لم تنقلها الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية(أمان) إلى رئيسة الوزراء الإسرائيلية آنذاك جولدا مائير؟

تكشف الوثائق أن معلومات حاسمة ومهمة فى الحرب لم تنقلها الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان) إلى رئيسة الوزراء الإسرائيلية آنذاك جولدا مائير.

وتتعلق إحدى الوثائق بشهادة ألفريد (عاينى)الذى كان آنذاك مساعدا لرئيس الموساد الإسرائيلى تسيفى زامير، الذى استقبل برقية درامية عاجلة من لندن فى الليلة الفاصلة بين ٤ و٥ أكتوبر١٩٧٣. كانت البرقية من مسؤول الموساد الذى يتولى تشغيل العميل المصرى أشرف مروان، بحسب الوثائق الإسرائيلية، الذى كان يحمل اسما كوديا هو(الملاك)

تضمنت البرقية إشارة واضحة على قرب اندلاع الحرب، بالإضافة إلى طلب مروان أن يأتى إليه رئيس الموساد لمقابلته بشكل عاجل.

قال (عاينى) فى شهادته أمام لجنة أجرانات: لم نستقبل برقية من هذا النوع من قبل، فقد طلب المصدر (أشرف مروان) أن يذهب رئيس الموساد

تحديداً لمقابلته، الأمر الذى يعنى أن لديه معلومات مهمة للغاية، وأدركت أن ذلك دليل على أن الحرب ستندلع.

طلبت لجنة (أجرانات) من (عاينى) والعميد(يسرائيل ليئور) السكرتير العسكرى لرئيسة الوزراء جولدا مائير، توضيح أسباب عرقلة إبلاغ المسؤولين بمعلومة استخباراتية مهمة تشير إلى قرب اندلاع الحرب؟

وكيف تم إهدار وتجاهل هذا الإنذار المبكر الذى وصل من أهم مصدر للموساد على الإطلاق، وإخفاؤه عن جولدا مائير؟

بعد وصول البرقية الدرامية من لندن إلى الموساد الإسرائيلى، وكانت تتضمن كلمة (كيمياء)وهى إشارة إلى أمر خطير حسب الاتفاق بين الموساد وعميله.

قرر (عاينى) أن يوقظ رئيس الموساد زامير من نومه رغم الوقت المتأخر ليلا، وعدم الانتظار حتى الصباح.

(عايني) يسرد في شهادته :اتصلت به هاتفياً على الفور، ورويت له بشكل عام ما حدث، واستمع لى، وقال لى: شكرا، حسنا، سأذهب لرؤيته فى الصباح!

من ضمن خطة الخداع الاستراتيجي التي انتهجها السادات الإعلان عدة مرات عن عام الحسم ويمر العام دون حسم

فانتهج معهم أشرف مروان هذا النهج فقد سبق أن حذر إسرائيل عدة مرات من حرب وشيكة، ورفعت إسرائيل درجة الاستعدادت القصوي لجيشها، ولم يكن يحدث شىء فى كل مرة من المرات السابقة.

لكن الملاك المصري لم يسبق له طلب لقاء رئيس الموساد!؟

سارع مساعد رئيس الموساد (عاينى) إلى تدبير رحلة طيران (لزامير)واتصل به مرة ثانية للتأكيد عليه،ويقول:فى تلك المرة حكى لى رئيس الموساد أن رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية (أمان) اتصل به هاتفيا، وأخبره بمعلومات عن استعداد السوفيت للرحيل من سوريا، فقلت لرئيس الموساد إن ما قاله رئيس المخابرات العسكرية يتفق تماماً مع ما أخبرته به ليلة أمس، واتضح لى عندئذ أن رئيس الموساد لم يفهم ما قلته له بشكل كاف، ويبدو أنه كان شبه نائم ولم يستوعب ما قلته له بشأن إنذار مبكر عن الحرب فقال لى انه سيتصل هاتفياً مجدداً برئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية لإخباره بالأمر، وكى أشرح له أن الأمر جاد للغاية على هذا النحو كانت معلومة المخابرات العسكرية الإسرائيلية عن خروج السوفيت من سوريا، إلى جانب المعلومة التى أرسلها مروان من لندن، كافيتين لإقناعه بأنه لا يوجد خيار آخر فاعتقدت أن ذلك إنذار ببدء الحرب، خاصة أن رئيس الموساد حكى لى عن خروج العائلات الروسية، فلم يساورنى الشك ابداً فى الأمر.

ثانية يوجه رئيس أركان الجيش الإسرائيلى الأسبق(يجال يادين)بالسؤال إلى (عاينى): لماذا لم يقم الموساد بنقل هذه المعلومة المفزعة إلى السكرتير العسكرى (لجولدا مائير) (العميد ليئور)؟

فأجاب (عايني) المخابرات العسكرية الإسرائيلية كانت الزبون الأساسى للمعلومة ،هناك قاعدة ثابتة بأن كل المعلومات التى ترد من (الملاك) ينبغى

إرسالها إلى رئيس الوزراء، ولكن ذلك كان سيستغرق عدة ساعات، ولم أفكر بأى شكل من الأشكال فى إيقاظ (ليئور) ليلاً.

ولكني قمت فى الصباح بالاتصال هاتفياً بالسكرتير العسكرى لرئيسة الوزراء، ولكنه كان فى اجتماع ،تركت له معلومة بضرورة أن يتصل بى فور خروجه من الاجتماع، واتصل بى (ليئو) فعلاً قبل الظهيرة، وحكى لى أن نقاشاً جرى فى الحكومة حول الموضوع، وأن رئيسة الوزراء سمعت من وزير الدفاع عن سفر رئيس الموساد إلى الخارج ،وفى حديث لى مع (ليئور) ذكر لى أنه كان من الأفضل أن أصر على إخراجه من اجتماع الحكومة، وألا أنتظر حتى ينتهى.

يعاود (يادين) بالسؤال هل كان هناك خلل فى التعامل مع معلومة كهذه، مما ترتب عليه عدم وصولها إلى رئيسة الوزراء ووزير الدفاع؟

(عاينى): إن تقديم المادة إلى رئيس الوزراء لم يكن وارداً للاحتياجات العملياتية، ولذلك لم يكن يبدو لى طبيعياً أن أقوم بإيقاظ (ليئور) ليلاً فمن الممكن أن أوقظه لأحكى له عن احتمال وقوع انفجار مثلاً لأن ذلك يدخل فى نطاق مهامه.

يتدخل (إسحاق نيبنتسال) النائب العام لاسرائيل وعضو لجنة أجرانات بالقول :كان يمكن نقل المعلومة نفسها بدون سفر رئيس الموساد ببساطة انظروا ستندلع الحرب!

(يادين) رئيس الأركان الإسرائيلى الأسبق :كان لدينا أيضاً خطة الحرب.(عاينى) لقد أتى بشىء خاص من نوعه، بالنسبة له كان يملك شيئاً فريداً وخاصاً يستحق أن يستدعى أكبر مسؤول لتسليمه المعلومة.

(نيبنتسال): من ناحية أخرى أيضاً، كان يدرك أن تأخير المعلومة لمدة ٢٤ ساعة يعنى تأخيرنا عن فعل أى شىء.

(عاينى): هذا صحيح، ولكن ربما لم يفكر مروان بهذا الشكل، ولم يكن العامل الأمنى فى باله، أو على الأقل لم يكن حاسماً.

(نيبنتسال): قلت هنا أمراً مهماً للغاية لو لم يكن مروان حريصاً على موضوع الأمن، لوجد وسيلة أخرى لنقل المعلومة، فقد كانوا يرونه عميلاً مزدوجاً!!! ولم يكن ينبغى عليه أن يخاف بهذا الشكل من أن يشعروا بأنه يتحدث إلينا ،ربما كان له تأمين مضاد، بالإضافة إلى أنهم كانوا يعرفون أنه يتصل بنا، لا أقول إنهم كانوا يعرفون كل اتصالاته بنا.

(عاينى): أعتقد أننا إذا عدنا إلى الوراء، وراجعنا الأمور التى أبلغنا بها سوف نتأكد على الفور أن هذا الأمر لم يكن فى باله.

(نيبنتسال): لا أحد أبداً يعلم الطرف الذى يخدعه العميل المزدوج!!! أو الطرف الذى يخدمه ويعمل لصالحه!!! وأنا أفهم من كلامك أن مروان كان يخدمنا بإخلاص!!! ولكن ربما كان متنكراً خلال ذلك فى صورة عميل مزدوج.

(عاينى): كان من السهل عليه ألا يخرج من بلاده، وألا يبلغنا بأى معلومات، وعندها لم نكن سنعرف أى شىء على الإطلاق، ولم يكن بوسع أحد أن يتهمه بأى شىء أو يسأله لماذا لم تسافر، لأننا نعلم أنه لم يكن قادراً بالضرورة على ذلك.

فى ٦ ديسمبر١٩٧٣ ، أى بعد شهرين من الحرب، وقف أمام لجنة أجرانات العميد (ليئور) السكرتير العسكرى (لجولدا مائير) تركزت شهادته

والتحقيقات معه حول مسارات وطرق نقل المعلومات الحساسة إلى رئيس الوزراء.

هل من المحتمل أن وقتا ثمينا ضاع منذ لحظة وصول إنذار الحرب حتى وقوع الحرب نفسها؟.

(ليئور) إنه خلال الفترة التى سافرت خلالها (جولدا مائير) إلى خارج إسرائيل، قبل أيام قليلة من اندلاع الحرب، كان حريصا على إحاطتها علماً بكل المعلومات الحساسة المتعلقة بالوضع الراهن فقد كانت المعلومة تصلها بأى طريقة كانت، فإذا اعتقدنا أنه ينبغى أن تصلها تلك المعلومة، نحرص على وصولها إليها بسرعة.

كما كشف (ليئور) لأعضاء اللجنة عن معلومة استخباراتية أكثرخطورة تدل بما لايدع مجالاً للشك قبل الحرب بأسبوعين

أبلغها رئيس الموساد زامير إلى رئيسة الوزراء جولدا مائيرتشير إلى إرسال روسيا صواريخ من طرازسكود إلى مصر، وكان ذلك أول إشارة على أن الحرب تقترب.

ثم قرأ (ليئور)على أعضاء اللجنة الكلمات التالية من محضرحديث بين (زامير) ورئيسة الوزراء: هل تعلمين أننا حصلنا على معلومات عن صواريخ يصل مداها إلى ٣٠٠ كيلو متر، يبدو أنها صواريخ سكود، ولدينا معلومات تؤكد ذلك، وهناك صواريخ يتراوح مداها بين ١٠٠ و٣٠٠ كيلو متر، لها رؤوس كيماوية ونووية"

هنا أصيب (نيبنتسال) بالدهشة من هول وقع الكلمات التى سمعها، وتساءل: هل هذا الكلام مكتوب؟

أريد أن أتأكد من ذلك!

فمل كان من (ليئور) إلا أن قام بقراءة العبارة ثانية :لها رؤوس كيماويةونووية.

رئيس الموساد (زامير) قال خلال اللقاء كما ورد بمحضر الجلسة :أنا مضطر إلى القول إننى فوجئت تماماً بما يفعله الروس!!!

كما شدد (زامير) أمام (جولدا)على أن ذلك يعد تصعيداً واضحاً وقال: هناك أدلة على أن تلك الصواريخ فى طريقها إلى مصر، أو وصلت إلى هناك فعلا.

رئيسة الوزراء، هل نتحدث فى ذلك مع... (تم حذف اسم الشخص الذى ورد اسمه خلال اللقاء من الوثائق التى تم الكشف عنها)؟

لكن يدعوت أحرنووت الإسرائيلية

تقول إن رئيس الموساد كان يقصد الأمريكيين على ما يبدو.

تطرق (ليئور) إلى الفكرة الرائجة آنذاك فى موضوع نقل الصواريخ الروسية إلى مصر، والتى كانت تعنى أن لذلك أهمية درامية فى التدليل على النوايا المستقبلية لمصر فقال: إن مصر والدول العربية كانوا يقولون طوال السنوات السابقة منذ حرب الأيام الستة (حرب يونيو ١٩٦٧) :إن مشكلتهم الرئيسية إنهم غير قادرين على ضربنا فى العمق، فقد كانت مشكلتهم هى العمق، وكان من الصعب أن يتسللوا إلى العمق، وكان هناك نقاش حول ذلك.. ولن

أدخل فى هذا الموضوع الآن، لأننى لست فى منصب(إيلى زعيرا)رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية ولا (تسافيكا زامير) رئيس الموساد.

مازال (ليئور) يتلوعلي لجنة (أجرانات) محضر اللقاء بين (جولدا مائير) (وزامير) وأن (زامير) رأى فيما حدث، من بين كل الاحتمالات، جزءاً من (ماستر بلان)، أى خطة رئيسية يجرى تنفيذها.

(يادين) عضو اللجنة يوجه سؤالاً آخر إلي (ليئور)

فى ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣ .طلبت المخابرات المركزية الأمريكية (سى. آى. إيه) من إسرائيل تفاصيل عن معلومات حصلت عليها الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية عن خطة حرب سورية من قام بالتصديق على الإجابة فى صورتها النهائية إلى الأمريكيين؟

هل هو رئيس الوزراء أم وزير الدفاع؟

أم أن الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية ردت على جهاز مخابرات أجنبى من تلقاء نفسها؟

(ليئور):أعتقد أن ٩٩% من عمليات التقييم الدورية، كانت تجرى على مستوى أعضاء الأجهزة الاستخباراتية بدون توجيه من القيادة العسكرية!

لم يحدث فى أى مرحلة أن قامت القيادة العسكرية بإبلاغ (جولدا)بأى تقديرات مختلفة تتعلق بالمعلومات الاستخباراتية، فى أغلب الحالات، كانت تحصل على معلومات من نوع واحد، لم يكن يتم إطلاعها على آراء مختلفة، أو بدائل لم تحصل على معلومات بشأن آراء مختلفة، ولا أذكر أن حدث ذات مرة

أنهم جاءوا وقالوا بصورة واضحة أو بأى شكل من الأشكال نحن ضد هذا الموضوع!

وجه رئيس أركان الجيش الإسرائيلى الأسبق (حاييم لاسكوف) سؤالاً أخر إلى (ليئور)حول ما إذا كان رئيس الموساد زاميرقد أعرب عن رأيه أمام (جولدا) خلال الأيام التى سبقت اندلاع الحرب؟

فأجاب (ليئور): هل تذكر من تلك الفترة بعد رأس السنة أن رئيس الموساد وضع كل ثقله وقال لرئيسة الوزراء: ليس عندى شىء محدد لأقول ذلك، ولكن انطباعى من كل المعلومات الاستخباراتية أننا ذاهبون إلى حرب جديدة؟

فأجاب (ليئور) بالنفى وقال: فى ٤ أكتوبر١٩٧٣، أى قبل يوم واحد من حصولنا على معلومة خروج العائلات السوفيتية من مصر وسوريا، تم عقد اجتماع، وهناك ألقى العقيد (جارا سابا) محاضرة عن الوضع على الجبهتين المصرية والسورية بالنيابة عن رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، وعرض الوضع كما تراه الاستخبارات العسكرية الذى يتلخص فى وجود احتمالات ضعيفة لاندلاع الحرب، ولم يختلف رأى رئيس الموساد عن ذلك، ولم يتطرق إليه تقديرات الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية التي كانت حاسمة دوماً، حتى فى أصعب الأوقات، لأن ذلك كان يوم الجمعة، أى عشية اندلاع الحرب، كان التقدير والتفكير قائماً على تقدير الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية. وقمنا فى ذلك اليوم بإبلاغ الأمريكيين بآخر تقديراتنا.

تركزت شهادة (عاينى) حول الإنذارات التى لم تصل إلى مكتب رئيسة الوزراء.

(يادين) فى أول أكتوبر ١٩٧٣، حصلت إسرائيل على برقية تتضمن معلومات عن نية سوريا شن هجوم عسكرى على إسرائيل، وفى اليوم التالى وصلت برقيات أخرى تؤكد المخاوف من وقوع هجوم سورى لم تصل إلى السكرتير العسكرى لجولدا مائير أياً من هذه البرقيات؟

يستنكرالقاضى (أجرانات) رئيس لجنة التحقيق: ولا واحدة من تلك البرقيات؟

فيؤكد (يادين) قائلاً: ولا واحدة!

معايير نقل المعلومات الخام أى بدون تحليل استخباراتى إلى رئيسة الوزراء، كانت تقضى بنقل الأمور والمسائل التى يعتقد رئيس الموساد أنها قد تهم رئيسة الوزراء شخصيا، وليس لأنه قد يؤثر على شىء عملياتى. وقد أدركت أنا ذلك الأمر،

وإذا أمعنا النظر فى تلك الملفات، لاحتجنا شهرين أو ثلاثة شهور، ويبدو تقريبا أنه لم يتم نقل معلومات تتعلق بموضوع التصعيد وتعاظم قوة الأعداء، أو شراء الأسلحة، أو الاستعداد للحرب إلى رئيسة الوزراء.

وأكد أنه أجرى عدة مكالمات هاتفية مع (ليئور) وقال: فى تلك المكالمات الهاتفية كان يتم نقل المعلومات.

(يادين): سألنا العميد (ليئور) فأكد أنه لم يحصل على تلك المعلومات، فماذا كان رده ورد (جولدا)على مجموعة البرقيات تلك؟

وهو يقول: إننى أسمع الآن لأول مرة فى حياتى عن تلك البرقيات!

(يادين) كان ينبغى عليهم أن ينقلوا المعلومة المهمة فى صورتها الخام إلى رئيسة الوزراء.

تبين لنا أن هذه البرقيات، فى صورتها الخام، تم نقلها بواسطة الاستخبارات العسكرية إلى وزير الدفاع ورئيس الأركان، لكن لسبب ما لم يتم تضمينها فى التقييم الذى أعدته الاستخبارات العسكرية للوضع.

(عاينى) مساعد رئيس الموساد :الموساد ليس الطرف المسؤول عن إحاطة رئيسة الوزراء بأمور معينة، فعندما يقرأ شخص ما تقريراً استخباراتياً لتقييم وضع ما، ثم يقرأ المعلومات فى صورتها الخام فإنه يفهم التقرير أفضل كثيرا، لأن المعلومات الخام تتضمن تفاصيل إضافية ومن ثم فعدم حرص الاستخبارات العسكرية على وضع المعلومات التى حصلت عليها، فى سياق التقرير التجميعى هو ما أدى إلى فقدان وضياع تلك المعلومة الحساسة وعدم الاهتمام بها.

(يادين) الأمر يبدو وكأن شيئاً ما سقط بين الكراسى معبراً عن اندهاشه من طريقة التعامل مع معلومة حساسة بهذا الشكل، وعن إنذارات بهذا الشكل؟

كيف لم يلاحظ أى مسؤول بالموساد أن المعلومة التى أرسلها العميل غير موجودة فى التقرير التجميعى للاستخبارات العسكرية أنا لا أفحص ما إذا كانت الاستخبارات العسكرية تنقل إلى رئيسة الوزراء معلومة من هذا النوع أو

ذاك فى صورتها الخام، فأنا أعلم أن الاستخبارات العسكرية وفقاً لتقديرى تنقل كل المادة الخام التى ننقلها إليها إلى رئيسة الوزراء.

يتدخل قاضى المحكمة العليا (موشيه لاندوى) وعشو لجنة التحقيق ويتسأل : كالعادة اعتمدتم على تقييم المعلومات الخام الذى أعدته الاستخبارات العسكرية، باعتبارها الهيئة التى تتولى إعداد التقييم؟

(عاينى): ليس تقييماً وإنما معالجة وتجهيز لتلك المعلومات لقد انطلقنا من فرضية أننا ننقل المعلومات إلى رئيسة الوزراء.

(يادين) :أوجه القصور والتقصير الاستخباراتى تكمن فى تلك النقطة يحدث هنا أمر مزدوج وخطير فالجميع يعتمد على تقديرات الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية.

(يادين) وفقا للوثائق الموجودة بين يدى أعضاء لجنة التحقيق، سبق أن أعلن العميل عن حرب وشيكة فى إبريل ١٩٧٣ مما ترتب عليه رفع درجة الاستعداد فى الجيش الإسرائيلى، وتم عندها نقل المعلومة فى صورتها الخام إلى رئيسة الوزراء مباشرة ما الفرق بين هذه الوثيقة والوثيقة السابقة؟

محاولا البحث عن سبب لعدم إبلاغ رئيسة الوزراء بأمر البرقية التى أرسلها أشرف مروان قبل وقوع حرب أكتوبر بساعات؟

(عاينى) يجيبه :لا أستطيع أن أخبرك لماذا حدث ذلك! فكان الغرور الإسرائيلى وجهود المخابرات المصرية كفيلا بأن تعمى أبصار الإسرائيليين، ليحقق المصريون ضربتهم المباغتة والمذهلة أيضاً (١)

---

(١) صحيفة يدعوت أحرنووت في سياق استعراضها لمضمون مجموعة جديدة من الوثائق التى

المبحث الثاني

خير أجناد الأرض يشعلون القـناة بدون نابالم

قبل بداية الهجوم المصري بـ ١٢ ساعة كان علي المصريين حتي يعبروا القناة التي استطاع الإسرائيليون تحويلها لجحيم ونار مستعرة تذيب الحديد فما بالنا بالبشر بواسطة أنابيب النابالم الحارقة إيقاف مفعول النابالم.

تولي جهاز المخابرات العامة المصرية ملف وقف ضخ أنابيب النابالم.

نجح جهاز المخابرات في معرفة تركيب هذه المادة عن طريق البطل المصري رفعت الجمال "رأفت الهجان" الذى أبلغها بمعلومات هامة وحيوية عن هذه الصهاريج منذ بداية التفكير فى انشائها.

كما طلبت المخابرات العامة من الهجان تكليف أحد عملاء الشبكة التي يديرها الهجان بتل أبيب بالحصول علي رسم هندسي دقيق للانشاءات والفتحات وما تحوية من سوائل ملتهبة ،ليس ذلك فقط فلم يهدأ جهاز المخابرات العامة المصرية إلا بعد وصول عينة من السائل المستخدم في الصهاريج الى القاهرة.

اكتشف جهاز المخابرات أن هذة الصهاريج الضخمة المعبأة بالمركب سريع الاشتعال لها صمامات تتحكم فيها طلمبات ضخ "ماصة كابسة" يخرج

تكشف المزيد من الأسرار الخاصة بحرب أكتوبر وكواليسها في تقريرلها بمناسبة مرور ٣٩ عاما على اندلاع حرب أكتوبر.

منها خط أنابيب بقطر ٦ بوصة وتنتهى بفتحات تحت سطح الماء على مسافات متقاربة فى جميع النقاط الصالحة للعبور.

حدد رجال المخابرات المصرية أماكن فتحات خط النابالم بدقة متناهية لتبداء المرحلة الثانية من العملية.

وهي مرحلة التجارب العملية فقام أبطال الجيش المصري بالقيام بتجارب واقعية فتم حفر مجرى صغير بنفس مواصفات قطاع من قناة السويس بمكان ما فى صحراء مصر.

تم ضخ كمية من النابلم على سطح هذا المجرى وقام الأبطال بتجربة حية علي العبور وسط هذه النيران لتحديد نسبة الخسائر التى ستمنى بها القوات المصرية إذا عبرت وسط هذا الجحيم.

كانت النتائج الأولية مخيفة ومخيبة للآمال وكفيلة بتدمير فكرة عملية العبور فقد كانت درجة الحراة على سطح الماء اثناء اشتعال المادة يصل الى ٧٠٠ درجةمئوية.

وأثناء التجارب استشهد عدد من هؤلاء الأبطال دون أن ينجحوا فى عبور المجرى المائي التجريبي فكانوا أول شهداء الحرب.

في عملية كانت هي الأكثر تعقيداً في خطة الحرب ففشل العملية كان بمثابة إجهاض للحرب لأن الفشل كان سينبه اسرائيل الى جدية الجيش المصري في الدخول للحرب وعبور قناة السويس.

وفي ليلة السادس من أكتوبر وتحت جنح الظلام عبرت مجموعتان مدربتان من القوات المصرية لقناة السويس،

قامت المجموعة الأولى بقطع خراطيم الطلمبات ونجحت الثانية فى سد فتحات أنابيب النابالم بلدائن خاصة سريعة الجفاف.

نجحت العملية نجاحاً باهراً وكما أظهرت الوثائق التي نشرت فيما بعد أن موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلي وبخ الجنرال (شموائيل جونين) الذى كان قائداً لجبهة سيناء آنذاك توبيخاً شديداً بسبب فشله فى تشغييل أجهزة النابلم وقال له: أنت جنرال تستحق رصاصة فى رأسك"

لم يكن ديان يدرك أنه بالفرض حتى لو قام جنراله بإصلاح أجهزته التي أعطبتها ضفادعنا البشرية فقد كانت جميع الفتحات المؤدية الى القناة مغلقة،

وإذا كان جنراله شموائيل جونين يستحق رصاصة في رأسه فكم رصاصة يستحقها موشي ديان في رأسه؟

دقت طبول الحرب يوم السبت ٦ أكتوبر١٩٧٣ في تمام الساعة الثانية بهجوم مفاجئ من الجيشين المصري والسوري على القوات الإسرائيلية، وتحقق الهدف من وراء المباغتة العسكرية لإسرائيل.

توغلت القوات المصرية ٢٠ كم شرق قناة السويس، وتمكنت القوات السورية من الدخول في عمق هضبة الجولان.

بدأت مصر الحرب بضربة جوية تشكلت من ٢٢٢ طائرة مقاتلة عبرت قناة السويس وخط الكشف الراداري للجيش الإسرائيلي مجتمعة فى وقت واحد، استهدفت محطات الشوشرة والإعاقة في أم خشيب وأم مرجم ومطار المليز ومطارات أخرى ومحطات الرادار وبطاريات الدفاع الجوي وتجمعات

الأفراد والمدرعات والدبابات والمدفعية والنقاط الحصينة في خط بارليف ومصاف البترول ومخازن الذخيرة.

وبعدها بخمس دقائق قامت أكثرمن ٢٠٠٠ قطعة مدفعية و هاون ولواء صواريخ تكتيكية ارض بقصف مركزلمدة ٥٣ دقيقة صانعة عملية تمهيد نيراني من اقوي عمليات التمهيد النيراني في التاريخ.

بدأت بعدها عمليات عبور مجموعات اقتناص الدبابات قناة السويس، لتدمير دبابات العدو ومنعها من التدخل في عمليات عبور القوات الرئيسية وعدم استخدام مصاطبها بالساتر الترابي علي الضفة الشرقية للقناة.

في الساعة الثانية وعشرين دقيقة اتمت المدفعية القصفة الأولي لمدة ١٥ دقيقة، وفي توقيت القصفة الثانية بدأت موجات العبور الأولي من المشاة في القوارب الخشبية والمطاطية.

ومع تدفق موجات العبور بفاصل ١٥ دقيقة لكل موجة وحتى الساعة الرابعة والنصف مساء تم عبور ٨ موجات من المشاة وأصبح لدى القوات المصرية على الشاطئ الشرقي للقناة خمسة رؤوس كباري.

ومع عبور موجات المشاة كانت قوات سلاح المهندسين تقوم بفتح ثغرات في الساتر الترابى لخط بارليف، وحين فتح الثغرات قامت وحدات الكباري بإنزالها وتركيبها في خلال من ٦-٩ ساعات.

وفى خلال الظلام أتمت عملية العبور حتى أكملت ٨٠ ألف مقاتل مشاة و ٨٠٠ دبابة ومدرعة ومئات المدافع.

نجحت مصر وسوريا في تحقيق النصر، حيث تم اختراق خط بارليف، خلال ست ساعات فقط من بداية المعركة وأوقعت القوات المصرية خسائر كبيرة في القوة الجوية الإسرائيلية، ومنعت القوات الإسرائيلية من استخدام أنابيب النابالم، حطمت مصر أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، في مرتفعات الجولان و سيناء، و أجبرت اسرائيل على التخلي عن العديد من أهدافها مع سورية و مصر، كما تم استرداد قناة السويس وجزء من سيناء في مصر، و القنيطرة في سورية.

خرجت رئيسة وزراء إسرائيل جولدا مائير ووزير دفاعها موشيه ديان لزيارة القوات على الجبهة وقت الحرب

ذهلت القيادة الاسرائيلية من مستوي الجيش المصري وقالت وقتها "وكأننا نقاتل ضد الجيش الروسي".

وزير الدفاع موشيه ديان غير مستعد لقبول فكرة وقف النار، ويرى فيها نوعا من الاستسلام. ولكنه متردد في موضوع الخيار العسكري المفضل.

الأجواء العامة في القيادة العسكرية والسياسية متكدرة، فعندما عاد ديان في ٧ تشرين الأول من جولة في الجبهتين الشمالية والجنوبية، بدا كمن خرب عالمه، يتحدث عن إمكانية انسحاب في سيناء وضياع ذخائر حيوية، وكان لسان حاله يقول لجولدا: (أخطأت، نحن عرضة لكارثة، قد يكون هذا خراب البيت الثالث)

أما جولدا نفسها فقد ردت عليه بالمثل (إذا كان ديان محقا، فسأنتحر) [١]

---

(١) موقع "نتسيف" الإسرائيلي العبري

(الفصل الرابع)

العرب وجهاً لوجه ضد أولاد العم سام

المبحث الأول

العرب عندما يتحدون

تعتبر حرب السادس من أكتوبر١٩٧٣. حرباً عالمية ثالثة علي أي مقياس عسكري من حيث العدد والعتاد والأسلحة وعدد الدول التي شاركت في هذه الحرب فلم تكن حرباً بين مصروسوريا ضد إسرائيل فالأمركان أعقد من ذلك فالجبهة المصرية السورية ساندها الاتحاد السوفيتي السابق بالإضافة إلي كتلة عربية ضخمة ودولا إفريقية، ٣١ دولة إفريقية قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل ودولاً إسلامية كإيران حيث قام شاه إيران بإصدار أوامر لناقلة نفط في عرض البحر بتغيير مسارها إلي الموانئ المصرية بعدما تواصل معه الرئيس السادات لمد مصر بالبترول خلال فترة الحرب كما أمر الشاة بوقف تصدير البترول للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

كما ساندت دولاً أسيوية الحق العربي ككوريا الشمالية التي اشتركت في في حرب أكتوبر بمجموعة من الطيارين ، وصل عددهم ٣٠ طياراً،كما قدمت الصين مبلغ ١٠ مليون دولارو١٠٠٠٠٠ طناً من القمح لمصر.

وأيضاً دولاً أوروبية كيوغوسلافيا التي شاركت بلواء مدرع والمانيا الشرقية التي تبرع إتحاد نقابتها العمالي بمبلغ ١٠ مليون مارك للمجهود الحربي

المصري تضامناً من العمال الألمان مع نظرائهم المصريين كما ارغمت السلطات الألمانية سفن شحن إسرائيلية بمغادرة ميناء بريمن دون أن تتسلم حمولتها من الإمدادات الأمريكية القابعة في المخازن الأمريكية ولم تكتف المانيا بذلك فقط بل قامت بإرسال معونات طبية للقاهرة وكذلك فعلت بولندا وتشيكسلوفاكيا ،أما أسبانيا فأعلنت وزارة خارجيتها عدم السماح للقوات الأمريكية في أسبانيا لقواعدها في القتال الدائر في منطقة الشرق الأوسط ،أما الجبهة الإسرائيلية فعززتها الولايات المتحدة الأمريكية بكل ماأوتيت من قوة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً

فمدت الولايات المتحدة إسرائيل بجسر جوي بلغ إجمالي ما نقل عبره ٢٧٨٩٥ طنًا.

فالدولة العظمي تعتبر إسرائيل ولاية أمريكية وظهر ذلك جلياً في الدعم اللامحدود واللامتناهي من واشنطن لتل أبيب أثناء الحرب الذي أطال أمد الحرب وقلب موازينها رأساً علي عقب ولولا هذا الدعم لانهارت إسرائيل.

أهم نقطة مضيئة ومشرفة في حرب أكتوبر أنها جسدت أعظم صور التلاحم العربي ضد العدو الإسرائيلي ويؤكد علي أن إسرائيل لم تواجه بعد قوة العرب الحقيقية إذا اتحدوا وتوحدوا علي قلب رجل واحد شريطة أن تجد هذه القوة القيادة الوطنية الحكيمة المخلصة التي توجهها.

أجرى الرؤساء و الملوك العرب الاتصالات التليفونية منذ اندلاع الحرب مع الرئيس السادات الذي تواجد منذ ظهر يوم السادس من أكتوبر في غرفة العمليات الرئيسية بمقر قيادة القوات المسلحة وبجواره الرئيس بو مدين ، و

الرئيس القذافي ، والأمير الصباح و الملك حسين ، و الرئيس جعفر النميري ، والشيخ خليفة آل ثان.

كما تبادل الرئيس السادات البرقيات مع الملك فيصل ، وأصدر الملك حسين أوامره بوضع القوات الأردنية في حالة تأهب ، وأعلن الرئيس القذافي ان ليبيا ستمول المعركة التي تقودها مصر و سوريا بالمال والبترول فأوقفت ليبيا تصدير بترولها الي الولايات المتحدة الأمريكية وهو يعادل ١١,١% من الانتاج الليبي كما رفعت سعر بترولها الي ٩٢٢ .٨ دولار للبرميل كانت ليبيا من أوائل الدول العربية التي دعمت دول المواجهة في حرب أكتوبر فأرسلت ليبيا لواء مدرعاً إلى مصر وسربين من الطائرات، أحدهما يقوده مصريون وآخر يقوده ليبيون.

كما بادر معمر القذافي بنقل الكلية البحرية المصرية الى ليبيا وعندما واجهت القيادة المصرية مشكلة تفوق القوة الجوية الاسرائيلية قامت ليبيا بعمل صفقة طائرات مع فرنسا واستخرجت جوازات سفر تحمل اسم ليبيا للطيارين المصريين حتى يتم تدريبهم داخل فرنسا.

وقبل الحرب قدمت ليبيا مليار دولار ثمن اسلحة ضمنها القوارب المطاطية التي عبرت بها الموجة الاولى من القوات المصرية قناة السويس الى سيناء ، وعندما وقعت مصر فى مشكلة الدبابات تى ٦٢، تدخلت ليبيا و دفعت الأموال وعندما قامت الحرب قامت ليبيا بارسال سربين من الطائرات سرب مكون من قادة مصريين وليبين، تم سحبهم اثر خلاف بين القيادة المصرية والليبية.

وعلي الصعيد المالي دعمت ليبيا مصر بمليار دولار مساعدات في شراء أسلحة عاجلة خلال حرب ١٩٧٣م.

كما رفع العراق سعر بتروله أيضا الي ٠٦١ . ٥ دولار، كما وصلت معونات طبية الي مصر من الإمارات ، وقرر السودان تزويد مصر بثلاثين طنا من اللحوم يوميا مساهمة في المجهود الحربي.

ووضع الرئيس العراقي جميع القوات المسلحة العراقية تحت تصرف القيادة المصرية و السورية.

كما أعلن الرئيس السوداني جعفر النميري وضع أراضي السودان وسمائه وموانيه في خدمة المعركة.

ومن الرياض يصدر الملك فيصل أمرا للقوات السعودية ان تكون علي أهبة الاستعداد لمجابهة ظروف المعركة.

كما قامت الرباط بالغاء رحلات شركة الخطوط المغربية لكي توفر الطائرات التي تستخدم في نقل قوات مغربية الي جبهة القتال كما أرسلت المملكة المغربية لواء مشاة يسمي بالتجريدة المغربية للجولان كما دفع المغرب ب١١٠٠٠ جندي للقتال رفقة الجيش العربي السوري بالدبابات والمدرعات.

وفي نفس التوقيت توجه جبهة التحرير الجزائرية نداء للتبرع بالدم لصالح المقاتلين في الجبهة.

واستكمالا للدور العظيم الذي قامت به دول الشمال الأفريقي تبادر تونس بإرسال بإرسال كتيبة مشاة لمصر قبل الحرب كما أعطتها ٥ طائرات " هوكر هنتر".

أما الدور العربي الأبرز في هذه الحرب فهو الدور الفلسطيني حيث قامت المقاومة الفلسطينية بزرع الألغام ونصب الكمائن وتنفيذ الغارات علي تجمعات الصهاينة فكانوا سبباً جوهرياً في شغل العدو عن المخابرات المصرية.

في هذه الحرب لم يقصر العرب في دعم الجبهة المصرية السورية على مختلف النواحي الاقتصادية والعسكرية بقوات برية وجوية ومساعدات عسكرية ومالية ،وقرارات سياسية انهكت العدو أهمها حظر تصدير النفط للدول الداعمة لإسرائيل،الذي كان سلاحاً حيوياً واستراتيجياً في حسم المعركة.

في أغسطس ١٩٧٣ قام السادات بزيارة سرية للعاصمة السعودية الرياض والتقى بالملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود طلب السادات من الملك فيصل وقف ضخ المملكة ودول الخليج للبترول العربي إذا ماقامت الحرب.

في ١٧ أكتوبر عقد وزراء النفط العرب اجتماعاً في الكويت قرروا فيه:

١-خفض إنتاج النفط بواقع ٥% شهريا. ٢-رفع أسعار النفط من جانب واحد.

كان رد الولايات المتحدة الأمريكية علي الجانب العربي بعد يومين من إجتماع وزراء النفط العرب

في التاسع عشر من أكتوبر، طلب الرئيس الأمريكي نيكسون من الكونجرس الأميركي اعتماد ٢,٢ مليار دولار كمساعدات عاجلة لإسرائيل، فرد الجانب العربي متمثلاً في المملكة العربية السعودية والعراق والجزائر

والإمارات وليبيا ودولاً عربية أخرى لإعلان حظر تصدير البترول إلى الولايات المتحدة، مما خلق أزمة طاقة في الولايات المتحدة الأمريكية.

في نفس الوقت لم تتخل القوة العظمي عن ربيبتهم إسرائيل فامدتها واشنطن بجسر جوي من الطائرات الحربية وبوابل من المدرعات والأسلحة الثقيلة التي لم تتوقف حتي بعد وقف إطلاق النار.

كانت مواقف الدول العربية في حرب أكتوبر واضحة دون مواربة أو مؤامات سياسية مساندة كاملة للحق العربي لذلك رد السادات الفضل لأهله ففي خطاب النصر قال مانصه إن (جزءاً كبيراً من الفضل في الانتصار الذي حققته مصر في حرب أكتوبر- بعد الله عز وجل يعود لرجلين اثنين هما الملك فيصل بن عبدالعزيز عاهل السعودية والرئيس الجزائري هواري بومدين)

حشدت مصر ٣٠٠,٠٠٠ جندي في القوات البرية والجوية والبحرية، وتألفت التشكيلات الأساسية للقوات البرية من الجيش الثاني الميداني.

والجيش الثالث الميداني وقطاع بورسعيد (تابع للجيش الثاني) وقيادة البحر الأحمر العسكرية.

تألفت القوات البرية المصرية من ١٠ ألوية مدرعة و٨ ألوية ميكانيكية و١٩ لواء مشاة و٣ ألوية مظليين.

اعتمدت خطة الهجوم المصرية على دفع الجيشين الثاني والثالث لاقتحام خط بارليف في ٥ نقاط واحتلال رؤوس كباري بعمق من ١٠-١٢ كم المؤمنة من قبل مظلة الدفاع الجوي .

أما القوات البريه فتألفت من ١٩ لواء مشاة راكب (عربات ذات عجل)

١٠ لواء مدرع

٨ لواء مشاه ميكانيكى ((عربيات جنزير))

١ لوء برمائى

٣ لواء جنود مشاه مترجله.

١ لواء صواريخ أرض – أرض.

١٧٠٠ دبابه ٢٠٠٠ عربه مدرعه ٢٥٠٠ مدفع هاون ٧٠٠ قاذف صاروخى

١٩٠٠ مدفع مضاد للدبابات ٥٠٠٠ مدفع أربى جى.

أما قواتنا الجوية فتألفت من ٣٠٥ طائرة قتال.

٩٥ طائرة تدريب.

١٤٠ طائره هليكوبتر.

٧٠ طائرة نقل عسكريه.

قوات الدفاع الجوى.

١٥٠كتيبة صواريخ أس إيه أم.

٢٥٠٠ مدفع مضاد للطائرات من عيار ٢٠ مم فيما فوق.

أما قواتنا البحرية فتألفت من١٢ غواصه

٥ مدمرات.

٣ فرقاطات.

١٧ قارب صواريخ.

١٤ كاسحة ألغام.

١٤ قارب أنزال.

٣٠ قارب طوربين.

١٢ قناصا.

فرضت البحرية المصرية في الحرب حصارا بحرياً على إسرائيل عبر إغلاق مضيق باب المندب بمساعدة اليمن بمدمرتين لغلق المضيق بوجه الملاحة الإسرائيلية.

اندلعت الحرب في هضبة الجولان بين سورية وإسرائيل بالتزامن مع الهجوم المصري.

ففي تمام الساعة ١٣:٥٨ قام الطيران العربي السوري من يوم ٦ أكتوبر بقصف مواقع الجيش الإسرائيلي في هضبة الجولان المحتلة.

شارك في الهجوم قرابة الـ ١٠٠ طائرة مقاتلة سورية، كما فتحت ألف فوهة نيران مدافعها لمدة ساعة ونصف لتنطلق وحدات وقطاعات الجيش السوري عبر الجولان وصولاً إلى مشارف بحيرة طبرية مكبدة القوات الإسرائيلية خسائر فادحة.

فور نشوب الحرب قامت المملكة العربية السعودية بإنشاء جسر جوي لإرسال ٢٠,٠٠٠ جندي إلى الجبهة السورية، وتألفت القوات السعودية في سورية من لواء الملك عبد العزيز الميكانيكي.

فوج مدفعية ميدان عيار١٠٥ ملم.

فوج المظلات الرابع٢ بطارية مدفعية عيار١٥٥ملم ذاتية الحركة.

بطارية مضادة للطائرات عيار٤٠ ملم. سرية بندقية ١٠٦-ل٨.

سرية بندقية ١٠٦-م-د-ل٢٠.

سرية إشارة.

سرية سد الملاك.

سرية هاون.

فصيلة صيانة مدرعات.

سرية صيانة.

سرية طبية.

وحدة بوليس حربي.

دعمت المملكة مصروسوريا ليس عسكرياً بل وايضاً اقتصادياً فلم تتردد المملكة في تحمل مسؤوليتها الكاملة تجاه أمتها فكانت ترسل ما عليها من التزامات لمصروسوريا.

لكن الدور الأخطروالأهم للملكة في حرب أكتوبرهو حظرتصدير النفط إلى الدول الداعمة للعدو الإسرائيلي وتخفيض إنتاج النفط بنحو ٣٤٠ مليون برميل اعتباراً من أكتوبر حتى ديسمبر ١٩٧٣، فقفزت أسعار النفط من ٣ دولارات إلى ١١ دولاراً للبرميل بسبب الاندفاع إلى تخزين النفط إضافةً إلى النقص الفعلي، واستمر هذا الحظر حتى مارس ١٩٧٤، مما جعل الولايات المتحدة الأمريكية والغرب

يجن جنونه مما حدا بأحد الصحفيين بتوجيه سؤال للملك فيصل باحتمال اعتداء الولايات المتحدة على بلاده بسبب حظر البترول وأن المملكة بهذا التصرف تجاهر بعدواة الولايات المتحدة وقد تدفع ثمن هذه العدواة فكان رد الملك فيصل التاريخي «أن ما نقدمه هو أقل القليل مما تقدمه مصر

وسوريا من تقديم أرواح جنودها في معارك الأمة المصيرية وإننا قد تعودنا على عيش الخيام ونحن على استعداد الرجوع إليها مرة أخرى وحرق آبار البترول بأيدينا ولا تصل إلى أيد أعدائنا.

كما قامت شركة أرامكو السعودية بتخفيض كميات البترول التي تنقلها عبر خط التابلاين إلي أوروبا الي النصف بسبب القتال الدائر في الشرق الأوسط

كما أهدت المملكة الجيش المصري أجهزة رؤية ليلية، وكان مستواها الفني عالى جدًا، صنعت في بريطانيا، وكانت هذه الأجهزة محظور بيعها لمصر.

عن أهمية الدور السعودي وتأثيره في حرب أكتوبر يؤكد الكاتب النرويجي (نيلس بوتنشون) على أن قرار الملك فيصل بن عبدالعزيز التاريخي بوقف تصدير النفط للدول الغربية المساندة لإسرائيل والذي أركع الحكومات الغربية تحت أقدام نفط العرب الذي قوي نفوذ الدول العربية، بل ويذهب بوتنشون الي أبعد من ذلك بترسيخ حقيقة أخري حيث يقول:أصبحت المملكة العربية السعودية بقراراتها الفاعلة لاعباً إقليمياً رئيسياً في منطقة الشرق الأوسط.

أما الجزائر فكانت مساهمتها عظيمة تليق ببلد المليون شهيد فشاركت الجزائر بالفوج الثامن للمشاة الميكانيكية.

الوحدات الجزائرية المشاركة: ٣ فيالق دبابات فيلق مشاة ميكانيكية فوج مدفعية ميدان فوج مدفعية مضادة للطيران٧، كتائب للإسناد التعداد البشري: ٢١١٥ جندي ٨١٢ ضابط صف ١٩٢ ضابط، العتاد: البري: ٩٦ دبابة

٣٢ آلية مجنزرة ١٢ مدفع ميدان ١٦ مدفع مضاد للطيران، وسرب من طائرات «ميج ٢١»، سربان من طائرات «ميج١٧»، سرب من طائرات «سوخوي٧»، أي بحوالي ٥٠ طائرة

وصلت الى الجبهة المصرية فى ايام التاسع و العاشر و الحادى عشر من أكتوبر.

وقبلها وصل إلى مصر لواء جزائري مدرع في ١٧ أكتوبر١٩٧٣.

قبل الحرب مباشرة وصلت معلومات من جاسوس جزائري في أوروبا تؤكد أن إسرائيل تنوي الهجوم علي مصر فطلب الرئيس هواري بومدين من الاتحاد السوفيتي السابق شراء طائرات وأسلحة لإرسالها إلى القاهرة لكن السوفيت طلبوا مبالغ ضخمة فأرسل لهم بومدين شيكا علي بياض وقال لهم اكتبوا المبلغ الذي تريدونه.

ثم توجه إلي موسكو في نوفمبر١٩٧٣ ودفع للسوفيت مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لحساب مصر وسورية عربوناً مقدماً لأي قطع ذخيرة أو سلاح ثمناً لما تحتاجه مصر أو سوريا.

أما بلاد الرافدين(العراق) فكان دورها مشرفاً علي الجبهة المصرية والسورية فيذكر للرئيس العراقي السابق صدام حسين موقفه الرجولي في مساعدة مصر وسوريا في حرب أكتوبر١٩٧٣ فقد

كانت قواته الجوية تساعد مصر بينما قواته البرية تقاتل في سوريا كما أمر بوضع كل الوحدات العسكرية تحت أمر القيادة المصرية والسورية.

فعلي الجبهة السورية دفعت بغداد ب٦٠٠ دبابة وثلاث فرق مشاة علي الجبهة السورية.

اشتبكت القوات البرية العراقية في معارك واسعة مع قوات العدو الصهيوني التي كانت تقوم بهجوم مضاد كاسح في الأيام الأخيرة من الحرب بقصد احتلال دمشق. فتصدت لها القوات العراقية وتمكنت من إيقافها وتكبيدها خسائر فادحة وحالت دون سقوط دمشق.

شاركت في هذه المعارك الدامية الفرقة المدرعة الثالثة والفرقة المدرعة السادسة ولواءان جبليان ولواء مشاة إضافة إلى ٤ أسراب (ميج ٢١) و(سوخوي١ ٧).

بلغت مشاركة العراق العسكرية على النحو التالي:٣٠ ألف جندي ، ٢٥٠-٥٠٠ دبابة،و ٥٠٠ مدرعة.

علي الجبهة السورية مني الجيش العراقي

بخسائر فادحة خسر خلالها١٣٧ دبابة وناقلة مدرعةو ٢٦ طائرة كما سقط منه

منه ٣٢٣ شهيدا تم دفنهم في منطقة السيدة زينب جنوب دمشق.

أما على الجبهة المصرية فأرسلت بغداد للقاهرة قبل الحرب سربين هوكر هنتر ووقت الحرب أرسلت العراق للجبهه المصرية فرقة مدرعة و مشاه.

كما أرسلت الى الجبهة السورية فرقتين مدرعتين و ٣ ألوية مشاة وعدة أسراب طائرات ووسربين من طائرات ميج ٢١،و٣ أسراب من طائرات سوخوي ١٧.

النفط العربي ليس أغلى من الدم العربي، وأن كرامة العربي هي الأغلى والدم العربي هو الأشرف، ودونهما يرخص المال والثروة كان هذا الشعار الذي رفعه زايد الخير حاكم دولة الإمارات في بداية حرب أكتوبر ليعلن بكل قوة أن دولة الإمارات العربية المتحدة تقف بكل إمكاناتها مع أشقائها المصريين والسوريين في حرب الشرف والعزة والكرامة من أجل استعادة الحقوق المغتصبة..

وقت الحرب كان الشيخ زايد في زيارة إلي لندن وفور علمه بنباء الحرب وجه الشيخ زايد سفير الإمارات فى لندن بأن يقوم بحجز جميع غرف العمليات الحرجة المتنقلة وشراء هذا النوع من كل دول أوروبا ليعالج فيها الجنود المصريين والسوريين.

كما قام بإرسال مواد طبية وعدد من عربات الإسعاف والمواد التموينية بصورة عاجلة مع بدء الحرب للجبهتين المصرية والسورية.

وعلي الفور اتصل بقيادتي القاهرة ودمشق ليؤكد دعمه اللامتناهي للشقيقتين.

كما عقد الشيخ زايد مؤتمراً عالمياً بلندن وكان له صداه الدولي على شعوب العالم الرافضة للاحتلال.

كما فرض الشيخ زايد علي موظفي الدولة في دولة الإمارات التبرع بمرتب شهر كامل لصالح دعم مصر،

ومن لندن يقود الشيخ زايد معركة إعلامية كبري لصناعة رأي عام عالمي لصالح العرب بعدما لاحظ الشيخ زايد أثناء متابعته لسير المعركة من

خلال الصحف ووكالات الأنباء العالمية تحيزها السافر لإسرائيل وقلبها للحقائق وبذكاء الرجل قرر أن تصل الحقيقة إلي أوروبا ومن ثم إلي العالم فجمع أربعين صحفياً ومراسلاً أجنبيا من بريطانيا ومن كل أوروبا لينقلوا الحقيقة من قلب المعركة وكل نفقاتهم علي حسابه الشخصي ومن ماله الخاص لتصل الحقيقة إلي الرأي العام العالمي دون رتوش.

كان الشيخ زايد أول حاكم عربي يتبرع لدول المواجهة بمائة مليون جنيه إسترليني علي الرغم من الأزمة المالية التي كانت تمر بها الإمارات فاستدان من رجال البنوك والمال في لندن المبلغ بضمان النفط وأرسله للجبهة المصرية والسورية وعندما سئل عن قيمة هذا الدعم قال قولته الخالدة "إن الثروة لا معنى لها بدون حرية أو كرامة، وأن على الأمة العربية وهي تواجه منعطفا خطيرا أن تختار بين البقاء والفناء بين أن تكون أو لا تكون ،بين أن تنكس أعلامها إلى الأبد أو أن تعيش أبية عزيزة مرفوعة أعلامها مرددة أناشيدها منتصرة.

اما الكويت الشقيق فقد شارك في حرب أكتوبر بروح وثابة بقوة كويتية في مصر

وعلي الجبهة السورية اقترح وزير الدفاع الكويتي آنذاك الشيخ سعد العبدالله الصباح إرسال قوة كويتية إلى سوريا مثلما توجد في مصر قوة كويتية وعليه شكلت قوة(الجهراء المجحفلة)

بأمر العمليات الحربية رقم ٣٩٦٧ الصادر عن رئاسة الأركان العامة للجيش الكويتي

في ١٥ أكتوبر١٩٧٣.

بلغ عدد أفراد القوة أكثر من ٣،٠٠٠ فرد وتألفت من كتيبة دبابات.

كتيبة مشاة.

سريتي مدفعية.

سرية مغاوير.

سرية دفاع جوي وباقي التشكيلات الإدارية.

وغادرت طلائع القوة الكويت في ١٥ أكتوبر جوا فيما غادرت القوة الرئيسية عن طريق البر في ٢٠ أكتوبروتكاملت القوات في سوريا خلال ١٥ يوما.

تم تكليف القوة الكويتية بحماية دمشق واحتلت مواقعها بالقرب من السيدة زينب ثم ألحقت بعدها بالفرقة الثالثة في القطاع الشمالي في هضبة الجولان ثم شاركت في حرب الاستنزاف ضد القوات الإسرائيلية.

قامت الكويت بإرسال ٥ طائرات "هوكر هنتر" إلي مصر وهي لاتملك إلا ثماني ٨ طائرات فقط، كما بعثت طائرتي من طراز سي ١٣٠ هيركوليز لحمل الذخيرة.

ووصلت الي القاهرة طائرة خاصة تحمل ٣٠ طنا من الادوية والمعدات الطبية للمجهود الحربي مقدمة من الكويت .

وظلت القوة الكويتية في الأراضي السورية حتى ٢٥ سبتمبر١٩٧٤ ليقيم لها الرئيس الراحل حافظ الأسد حفل وداع عسكري في دمشق.

وفي البحرين ومع بداية الحرب شهدت شوارعها اجتماعات ولقاءات شعبية للتبرع بالدم والأموال والدعم العيني لمساندة الجيش المصري.

لم يختلف موقف الحكومة البحرينية عن الإدارة الشعبية البحرينية فقد أعلنت حكومة البحرين في بيانها الرسمي عن حرب أكتوبر المجيدة:أنها بالنظر للموقف الذي تقفه الولايات المتحدة الأمريكية من الأمة العربية، وهي في غمرة نضالها العادل والمشروع ضد العدو الصهيوني انسجاماً مع كل ما يتطلبه الواجب القومي حيال الأمة، فقد قررنا وقف تصدير البترول للولايات المتحدة الأمريكية .

ثم اردفته بقرار آخر بإنهاء جميع الاتفاقيات الموقعة بينها وبين أمريكا الخاصة بمنح تسهيلات للبواخر الأمريكية في ميناء البحرين.

تجسدت وحدة وادي النيل في حرب أكتوبر واثبت السودان أن الجرح المصري تئن له السودان وتعتصر له ألماً فنظمت السودان مؤتمر الخرطوم الذي أعلن فيه اللأت الثلاث لا صلح، لا اعتراف، لا تفاوض، وعندما اشتدت غارات الصهاينة ، داخل العمق المصري أرسلت الخرطوم فرقة مشاة للجبهة المصرية

كما لم تتردد السودان في نقل الكليات العسكرية إلى أراضيها لتبقي إلي الأبد وحدة وادي النيل حقيقة لايستطيع أحداً إنكارها أوالمساس بها أوالتشكيك فيها.

أما الأردن فقامت بتكتيك عسكري وخديعة عسكرية كبري للعدو الإسرائيلي وجهاز الموساد الإسرائيلي

ففي السادس من أكتوبر ١٩٧٣ أمر الملك حسين برفع أستعداد القوات الأردنية إلي الحالة القصوي مما أثار قلق تل أبيب ودفعها إلي إبقاء جزء من جيشها في إسرائيل للتصدي لأي هجوم محتمل عليها من الجانب الأردني.

كما أصدر الملك حسين الأوامر لجميع الوحدات والتشكيلات بأخذ مواقعها تحسباً لأي هجوم إسرائيلي.

تعد الجبهة الأردنية من أخطر الجبهات لقربها من العمق الإسرائيلي مما دفع إسرائيل للإبقاء على جانب من قواتها تحسباً لتطور الموقف على خط الأردن.

وبعد تدهور الموقف على الجبهة السورية دفع الملك حسين اللواء المدرع ٤٠ واللواء المدرع الأردني ٩٠ إلى الجبهة السورية ليخوض الأردن أول معاركه في يوم ١٦ أكتوبر تحت إمرة الفرقة المدرعة الثالثة العراقية فعمل إلى جانب الألوية العراقية وأجبر اللواء المدرع ٤٠ القوات الإسرائيلية على التراجع ١٠ كم.

في وثيقة أمريكية تتحدث عن بداية مفاوضات فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل في مطلع شهر نوفمبر ١٩٧٣ وعقد اجتماعا بين الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون ووزراء خارجية أربع دول عربية هي السعودية والكويت والمغرب والجزائر كممثلين لكافة الدول العربية وذلك في السابع عشر من أكتوبر ١٩٧٣.

في هذا الإجتماع "كان العرب يتكلمون بثقة وكبرياء وأكدوا للرئيس الأمريكي وقوفهم خلف مصر وسوريا في حربهم المشروعة حتى جلاء أخر جندي إسرائيلي من آخر شبر من الأراضي العربية المحتلة."

المبحث الثاني

هنري كسينجر

" ساميّ اليهود " الجديد الذي غير دفة الحرب...

كان المهندس والمنسق العام لتغيير مسار الحرب هو هنري كسينجر وزير الخارجية الأسبق ومستشار شئون الأمن القومي والأهم أنه من أصل يهودي هنري كيسنجر، لعب دوراً كبيراً في إدارة وتشكيل الحرب وسيرها ونتائجها لصالح إسرائيل من بعد الثلاثة أيام الأولي التي انتصر فيها العرب انتصاراً ساحقاً غير متوقع هدد الوجود الإسرائيلي وحتي وضعت الحرب أوزارها.

كان كسينجر ينظر للعرب نظرة دونية يقول في كتابه الأزمة أن لديهم "نوع من الرومانسية الغامضة التي تجعل من الصعب التعامل معهم.

كان كسينجر مسانداً بل ومومناً باسرائيل وبقدراتها الكبري علي كبح جماح الحصان العربي ولم يعتقد لحظة أن العرب لديهم من الشجاعة والمقدرة والطموح والقوة والتخطيط والذكاء ما يمكنهم من بدء الحرب.

ولما دقت طبول الحرب لم يشك لحظة في انتصار إسرائيل علي العرب مجتمعين وأن إسرائيل ستلقن هؤلاء العرب درساً يفوق هزيمة ١٩٦٧.

وحتي بعد الثلاثة أيام الأولي من الحرب وتكبيد العرب لإسرائيل خسائر فادحة لم تهتز ثقته في جيش الدفاع الإسرائيلي فسعي بكل قوة لتأجيل قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار ليمنح إسرائيل قبلة الحياة علي أمل صد

الهجوم المصري السوري لكي لاتدخل إسرائيل المفاوضات وهي في الموقف الأضعف.

ولكن بعد استغاثة جولدا مائير رئيس وزراء إسرائيل ومكالمة السفير الإسرائيلي لدى واشنطن لكسينجر في منتصف الليل يخبره بحجم الخسائر الفادحة التي لحقت بالجيش الإسرائيلي، يغير كيسنجر إستراتيجيته ويتراجع عن موقفه الأول ويطالب بوقف إطلاق النار ولكنه في نفس الوقت يمد إسرائيل بكميات هائلة من السلاح والعتاد والدعم اللوجيستي يشبه مالوكانت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها في حالة حرب لتستعيد إسرائيل تفوقها العسكري.

ولم يكتف كسينجر بذلك فقط بل حاول إقناع الرئيس الأميركي نيكسون بضرورة وضع الحرب بين مصر وإسرائيل في إطار الحرب الباردة بين القوتين العظمتين آنذاك الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق، وسعي كسينجر لإقناع أقطاب الإدارة الأمريكية على ضرورة مساندة إسرائيل بكل قوة فمن المستحيل أن تقبل واشنطن بهزيمة حليفها الأول على يد سلاح سوفيتي يحارب به العرب.

يتجلي دور كسينجر الذي يمكن وصفه بالتآمري والمتواطئ في السماح لإسرائيل بخرق موعد وقف إطلاق النار علي الرغم من أن كسينجر هو من أتفق عليه مع قيادات الاتحاد السوفيتي في العشرين من أكتوبر لتحسين الموقف العسكري لإسرائيل لتجلس علي مائدة المفاوضات في موقف قوي دون أن تكون في موقف الأسد الجريح المهزوم.

فاوعز إلي جولدا مائير في ٢٢ أكتوبر بتشديد الحصار على قوات الجيش الثالث على الضفة الغربية للقناة مما مكن شارون بالقيام بثغرة الدفراسوار السينيمائية بإخراج وإنتاج هوليودي علي الرغم من المعارضة الشديدة من قادة البنتاجون لنهج كسينجر وإصراره علي استمرار حصار الجيش المصري الثالث وقيام إسرائيل بمنع وصول المؤن والأدوية والإمدادات إليه وكذلك الإصرار على قيام جنوده بتسليم أسلحتهم قبل فك الحصار عنه ورفضهم الشديد لنهج كسينجر وتحيزه السافر لإسرائيل الذي لم يعد خافياً حتي علي الجانب العربي.

في مقابلة لكسينجر مع صحيفة هاراتس الإسرائيلية يدلي بشهادته عن حرب أكتوبر فيقول : "في الأيام الثلاث الأولى قيل لنا إن الجيش المصري سيُباد وإن القوات الإسرائيلية ستعبر قناة السويس ، وكانت تحركاتنا الدبلوماسية معتمدة على تلك الافتراضات. الإشارة الأولى على أن الأمور تغيرت كان صباح يوم الثلاثاء التاسع من أكتوبر. عندما زارني السفير الإسرائيلي و ملحقه العسكري اللواء موطيه جور ، و قالوا لي إن إسرائيل تكبدت خسائر باهظة على الجبهة المصرية وإن جولدا مائير رئيس الحكومة الصهيونية آنذاك تريد المجئ لواشنطن لتطلب من الرئيس (ريتشارد) نيكسون المساعدة ، قلت لهم أنني سأبلغ الرئيس بأخر المستجدات ، و فعلت ، و أوصيتهم أن لا تغادر مائير إسرائيل في ذروة الحرب وتأتي لواشنطن طالبة المساعدة. كي لا يفسر الجانب الثاني الأمر كعلامة على الضعف الشديد"

وفيما يتعلق بالجانب العسكري ، أبلغت المبعوثين الإسرائيليين بأننا ملتزمون بتعويض النقص الإسرائيلي في ظل الخسائر وأنهم في استطاعتهم استخدام الإحتياطي العسكري الذي لديهم ، وأن الولايات المتحدة ستعود وتضخ لهم المساعدات العسكرية وبدأنا في تزويدهم بطائرات الفانتوم.

كان القرار الذي اتخذناه في الساعات الأولى للحرب، هو عدم السماح بهزيمة إسرائيل وعمل كل ما يلزم لتجنب ذلك، كنا مصممين أيضا على أن تكون هناك مبادرة سلام في أعقاب الحرب، شريطة ألا تأتي تلك المبادرة بعد هزيمة إسرائيل ، لهذا عندما طلب تل أبيب وقف إطلاق النار رأيت أن هذه فكرة غير حكيمة، لكن بعدها اقترحنا على طرف ثالث أن يقترح هو وقف النار بدلاً من إسرائيل.

عرضنا على بريطانيا هذا الدور ورفضت ، ووافقت استراليا لكن السادات رفض.

أعتقد أن السبب في ذلك هو شعور السادات بالثقة المفرطة في ظل الإنتصارات التي حققها، لهذا قرر عدم الاكتفاء بالخط الذي وصل إليه، والذي كان يبعد عن القناة عدة كيلومترات، والتحرك في اتجاه المضائق الجبلية أي متلا والجدي، لهذا قام السادات صباح الأحد ١٤ أكتوبر بهجوم مدرع، وكانت نتيجة المعركة عكس الأسبوع السابق لها، حيث فقدت مصر مئات الدبابات.

الفصل الخامس
الجسر الأمريكي الذي أنقذ إسرائيل

المبحث الأول
عملية " نيكل جراس"

مع أول إرهاصات فجر١٣ أكتوبر، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية أول رحله رسمية من رحلات الجسر الجوي الأمريكي " نيكل جراس "عن طريق طائرات النقل العملاقه (سي ٥ – جلاكسي ، وسي ١٤١)، واللتين كانتا تحملان على متنها دبابات من نوعيه " إم ٦٠" وصواريخ (الأرض / جو) الحديثه في ذلك الوقت ، عن طريق مطار العريش الذي عمل بكامل طاقته لإستيعاب ١٤٣٢٢ رحلة من مطارات القوات المسلحة الأمريكية العامله في أوروبا ومن المطارات العسكرية الأمريكية، ومن المخازن الإحتياطية للأمريكان، بل ومن القواعد الرئيسيه العسكرية في أمريكا.

دشنت أول رحلة طيران من قاعدة "نورفولك" بولاية فيرجينيا لتنهال علي مطار "اللد" ثم مطار العريش المئات من رحلات الطيران.

ولم يتوقف الدعم الأمريكي للصهاينة علي دبابات الـ (إم ٦٠) فحسب بل كانت تشتمل علي الصواريخ التلفزيونية التي تستخدم الأشعه تحت الحمراء مافريك التي كانت تحت الإختبارولم تستخدم بعد ولم تكن قد دخلت الخدمه بعد في أمريكا ، بالإضافه إلي دبابات (إم ٤٥) وأجهزه إشاره لاسلكية عاليه التشفير، ومعدات حرب إلكترونية كاملة وأجهزه رادار وطائرات فانتوم وطائرات الـ (إيه - ٤) و طائرات (سكاي هوك) وبطاريات صواريخ (هوك) و (فولكان)

وصورايخ (التاو)

وصواريخ (شابرال)) وقنابل (روك أي) وذخائره مدفيه (١٧٥ ملمم) و (١٥٥ ملمم) و (١٠٥ ملمم) ومواسير مدفيعه هذه بالإضافه إلي معدات وأسلحة لم يتم الإفصاح عنها حتي الآن.

مالايعرفه كثيرين أن عملية نيكل جراس لم تكن عملية جوية فقط والحقيقة أن هذه العملية كانت منقسمة لجزئين جسري جوي وجسربحري فالجسر البحري الأمريكي لتل أبيب أثناء حرب أكتوبر يعد أضخم جسر بحري في التاريخ من حيث حجم المعدات والأسلحة الثقيلة حيث نقل ٦٣ ألف طن من المساعدات العسكرية التي تدفقت بعد يوم واحد من بداية الحرب بشكل غير رسمي حيث تم شحن ٢٠٠ طن من الإمدادت يوم ٧ أكتوبر في مهمة سرية وفي طي الكتمان ،بدأت عملية "نيكل جراس " في التنفيذ على محورين "جوا وبحرا" بشكل رسمي من يوم (١٣ أكتوبر إلى ١٤ نوفمبر ١٩٧٣)، بعد تزايد الخسائر الإسرائيلية بصورة غير متوقعة ، ففي بداية الحرب تصور الأمريكان بأن إسرائيل ستلقن العرب درساً لن ينسوه وستنتصر في النهاية لكن كانت الأمور تسير عكس هذا التوقع.

بعد النداء الشهير انقذوا إسرائيل وهزيمة الكيان الصهيوني في الثلاثة أيام الأولي للحرب وتحطم ٨٥ % من قدرات جيش الدفاع الإسرائيلي بالأرقام والحسابات التي أجراها المؤرخ الصهيوني آفي شلايم[١] من خلال رصداً دقيقاً لعدد القطع العسكرية الصهيونية قبيل هذه الأيام ونظيرتها العربية، وما تبقى

---

[١] أقي شلايم. بالإنكليزية : **Avi Shlaim** و بالعبرية **אבי שליים** ولد ٣١ أكتوبر ١٩٤٥ في بغداد ، وهو أستاذ العلاقات الدولية بجامعة أوكسفورد وزميلاً بالأكاديمية البريطانية

.

لدى الطرفين في يوم ٩ أكتوبر، فيقول: إجمالي القطع الرئيسية في القوات البرية الإسرائيلية قبيل حرب يوم كيبور بيوم واحد بلغ حوالي ٢٣٥٠ دبابة قتال متوسطة، ١٥٩٣ مدفع ميدان وهاون، ٩٠٦ قطعة مضادة للدبابات.

وكانت هذه القوات تتشكل من ٠٥ قيادات مجموعة عمليات، ١٠ لواءات مدرعة، ٦ كتائب دبابات مستقلة، ١٩ لواء مشاة آلي، ٠٢ لواء مشاة، ٠٣ لواء مظلي، ٢٢ كتيبة ناحال، ٤٥ كتيبة مدفعية ميدان ومتوسطة وهاون، ١٢ كتيبة مدفعية مضادة للدبابات، ٠٣ كتيبة صواريخ مضادة للدبابات.

ومن إجمالي هذا العدد لم يتبق مع بزوخ فجر اليوم الرابع للحرب سوى ٢٤٢ دبابة، ٤٧٠ مدفع، و١٢ مضاد للدبابات.

أما القوات الجوية والدفاع الجوي فقد بلغ قوامها ٧٧٧ طائرة متنوعة، منها ٤٥٧ طائرة مقاتلة، مقاتلة قاذفة، ١٣ موقعا لصواريخ أرض / جو طراز هوك، من ١٥ . ٢٠ كتيبة مدفعية مضادة للطائرات متنوعة الأعيرة، هذا بخلاف كتائب وحدات القوات البرية بواقع كتيبة لكل لواء ولكل قيادة فرقة أي ما يعادل ٣٦ كتيبة، ولم يتبق من هذه القوة سوى ١٨٠ طائرة، وموقعي صواريخ أرض/ جو، وثلاث كتائب دعم جوي.

أما القوات البحرية فبلغ قوامها ٧٧ قطعة متنوعة، منها ٣ سفن إبرار بحري، ٠٣ غواصة، ١٤ زورق صواريخ سطح / سطح، ٠٩ زورق طوربيد، ولم ينجُ منها ١٧ قطعة، ويضيف شلايم: هذه الأرقام المرعبة تؤكد أن إسرائيل مُنيت بهزيمة ساحقة، فلم يسبق لجيش أن فقد هذه الخسائر لا في المدة ولا المعارك بوجه عام.

ولم يكتف شلايم برصد الخسائر الصهيونية، بل تعرض بإسهاب لحجم القوات العربية في سيناء والجولان بعد ٧٢ ساعة من القتال، فيقول: في المقابل لم يخسر العرب أكثر من ٠٧ في المئة من مجمل قواتهم، فقد شملت القوات الجوية العربية قبيل الحرب، ٢٦٠ ميغ ٢١، ٢٠٠ ميغ ١٧، ١٢٠ سوخوي ٧، ٥٠ سوخوي ٢٠، ١٦ سوخوي ١٧، ٢٨ تيوبولوف ١٦، ١٠ أليوشن ٢٨، ١٤٠ هليكوبتر (مي ٤ ومي ٦ ومي ٨)، هذا بخلاف طائرات التدريب من النوع اللام ٢٩ والتي بلغ عددها ٩٠ طائرة، إضافة للدعم العربي وبالأخص الجزائري والذي شمل: ٥٤ ميراج ٥، ٢٥ هوكر هنتر، ٢٥ ميج ٢١، ٢٥ ميج ١٧، ٢٥ سوخوي ٧.

لم تسقط إسرائيل من هذه القوة الجوية سوى أربع طائرات على الجبهة الجنوبية، و١٢ على الجبهة الشمالية.

أما قوات الدفاع الجوي لدى العرب فقد اشتملت على ٤ فرقة دفاع جوي (٢٢ قيادة لواء صواريخ، ١٣٥ كتيبة نيران، ١٧ فوج مدفعية مضادة للطائرات، ٢٨ كتيبة مدفعية مضادة للطائرات، ٥ كتائب صواريخ محمولة على الكتف طراز سام ٧، و٧ أفواج رادار، ٢٠ كتيبة رادار، وحدات مراقبة بالنظر)، لم يدمر منها سوى ما يعادل ١١ في المئة من قوامها. أما القوات البرية والتي تجاوز قوامها الربع مليون مقاتل على الجبهتين، فلم يقتل منها سوى ٧٩٤ بين جنود وضباط، ولم تدمر سوى ٤٠٠ دبابة من جملة ٢٥٠٠ دبابة.

وبعد سرده لتلك الأرقام، وبعد توجيهه اللوم اللاذع للقيادات الصهيونية آنذاك، وللمسؤولين الذين أخفوا تلك المعلومات الخطيرة عن الشعب.

يسرد شلايم: انهار جيش الدفاع الإسرائيلي تماماً في ثلاثة أيام، وبلغت خسائر إسرائيل في الايام الثلاثة ٨١ طائرة ، ١٢٨ دبابة ،١٢٣ أسيراً .(١)

نشرت الصحف المصرية صور مجموعات من الأسرى الإسرائيليين كان السقوط وشيكا لكن الحلفاء وفي مقدمتهم الولايات المتحدة أنقذوا إسرائيل من الكارثة.

بدأ الدور الأمريكي يتكشف في تلك الحرب ولم يعد خافياً علي القاصي و الداني أن واشنطن لا يمكن أن تقبل بفكرة زوال الكيان الصهيوني من الوجود مما يدعونا للتساؤل هل وضعا الرئيسان السادات والأسد أثناء التخطيط للهجوم سيناريو تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لصالح إسرائيل؟

المحلل الروسي فاديم كيربيتشينكو يجيب عن هذا السؤال : كان السادات والأسد على قناعة بأن أمريكا ستسعى لإحداث مفاجآت في المعركة، فوضعا خططا للتعامل مع أي تدخل أمريكي يخل بتوازن القوى أثناء الحرب، وكان العرب مدركين أيضا أنهم يقاتلون أمريكا بشكل مباشر، لكن وبعد ثلاثة أيام من الحرب تكبّدت أمريكا خسائر كبيرة، فعمدت إلى استخدام أسلحة فتاكة جديدة تفوق أي تصور أو توقع من جانب العرب.

فكانت الطائرات الأمريكية من طراز سي ٥ غلاكسي تنزل الدبابات الأمريكية لساحة المعركة مباشرة في سيناء عبر مطار العريش، وكان ذلك بعد ٧ ساعات فقط من اندلاع الحرب، لكن المفاجأة أن المقاتلات المصرية دمرت المطار وممرات الإقلاع والهبوط، الأمر الذي أجبر واشنطن على إنزال قواتها في مطارات إسرائيل وكانت تلك الضربة موجعة لأمريكا التي كانت تريد عدم

إضاعة الوقت واختصار المسافات لصد القوات المصرية المهاجمة، ومن أجل توفير الغطاء الزمني لوصول تلك الدبابات لساحة المعركة، كثف الطيران الأمريكي هجماته على الجبهتين المصرية والسورية معا، لكنها في المقابل ونظرا لاندفاعها الجنوني خسرت عددا كبيرا من طائراتها، وكانت المعارك تسير حيث لا تشتهي.

تكبّدت أمريكا خسائر كبيرة في معداتها واقتصادها أيضا، فقد كانت تعوض إسرائيل فورا عن كل طائرة سكاي هوك أو فانتوم تسقط على أي من الجبهتين، وكانت مجبرة على استخدام أعداد مهولة من صورايخ شرايك المتطورة وذات القدرة التدميرية العالية والباهظة التكاليف في ذات الوقت، لكن المحير أن هذا الضغط العسكري الشديد لم يؤثر على تقدم العرب وإحرازهم انتصارات مغايرة لكل القوانين العسكرية، وهذا ما دفع واشنطن إلى إخراج كل ما في جعبتها، ولأول مرة دخل الجيل الأول من القنابل الموجهة بالليزر ساحة المعركة، ولأول مرة خرجت للعالم أسرار باكورة الصناعات الحربية الأمريكية، وظهرت أسماء أسلحة على غرار المافريك والـ تاو، وكان ذلك في اليوم الرابع للقتال، حينما تقدمت القوات المصرية للاستيلاء على المحاور الرئيسية في سيناء، وكان لتلك القنابل الحديثة دور كبير في تدمير اللواء المدرع الذي انطلق في عملية تطوير الهجوم، ولكن هذا لا يعفي المصريين من الخطإ، حيث أن هذه القوات خرجت من نطاق الدفاعات الجوية المصرية، الأمر الذي سهل المهمة على القاذفات الأمريكية، ولو أن خطة الهجوم تلك نفذت تحت مظلة دفاعية جيدة لقال التاريخ كلمة أخرى، فالاستيلاء عليها يفتح الطريق

تماما إلى العمق الإسرائيلي، لكن في المقابل كان التحرك المصري مستندا إلى تيقن القيادات في القاهرة من إبادة معظم القوات الجوية والبرية الإسرائيلية، ولم يكن في حسابهم أن عشرات المقاتلات الأمريكية تنتظر هذه الهفوة.

المصريون دمروا معظم الطائرات وقواعد الصواريخ الهجومية الإسرائيلية، وتصدت الدفاعات المصرية والعربية على طول خط القناة لمحاولات الاختراق الجوية الإسرائيلية، فاضطرت إسرائيل لإصدار قرارها الشهير الذي منع ما تبقى من مقاتلاتها من الاقتراب من ساحة القتال بعمق ٢٠ كيلومترا، حتى المقاتلات الأمريكية حيّدت هي الأخرى في هذه المنطقة، فتحركت القوات المصرية بنجاح تحت هذا الدرع القوي وبمجرد الإنسلات منه انقضت أمريكا على العرب، ورغم إحرازها بعض التفوق حتى اليوم الرابع عشر من الحرب إلا أن اقتصادها كان على وشك الانهيار، فقد كانت الولايات المتحدة ترسل الدبابات إلى إسرائيل من المخزون الاستراتيجي المباشر، بل إنها رفعت نسبة التصنيع في العام التالي للحرب في مصانع الدبابات لتعويض خسائرها في حرب أكتوبر، وكذلك رفعت إنتاجها من الصواريخ المضادة للدبابات في نفس السنة من ١٢٨٥٢ صاروخ إلى ٣٥٤٨٧ صاروخ، وانطلى الأمر على المقاتلات وكافة القطع الحربية، وواجهت أمريكا أزمة اقتصادية عاصفة، كان من الممكن لو استمرت الحرب أن تهدد بانهيار القوة العظمى.

النصر حليفاً للعرب والأمور تسير كما خطط لها والجبهتين المصرية والسورية تحرزان تقدماً كبيراً فمن الطبيعي تطوير الهجوم حتي الوصول لخط المضايق وكان بعض القادة كالفريق الجمسي ينادون بذلك لتضييق

الخناق علي العدو وحتي لايأخذ زمام المبادرة لكن المفاجأة الرئيس السادات يوقف الحرب ويقبل بوقف إطلاق النار.

وإلي الآن مازالت أصوات كثيرة تتهمه بالجبن والتخاذل والعمالة والخيانة والتخلي عن الجبهة السورية.

الأقدر علي الإجابة عن هذا السؤال أو بالأحري الإتهام الرئيس أنور السادات نفسه ففي كتابه البحث عن الذات يرفض هذا الإتهام ويبرر قبوله بوقف إطلاق الناربقوله:

أتضح لي في اليوم الأول من الحرب أن القمر الصناعي الأمريكي كان يوصل المعلومات لإسرائيل ساعة بساعة، وأخطرهم بنقل الفرقة المدرعة ٢١ من الضفة الغربية للقناة إلى الضفة الشرقية لمحاولة تخفيف الضغط على سوريا كما طلب وألح الرئيس الأسد.

وأقر هنا للتاريخ أن روسيا التي تدعي وقوفها مع الحق العربي لم تبلغنا بشيء بواسطة أقمارها الصناعية التي تتابع المعركة، ثم حدث تطور خطير بدأت أشعر به، وأنا أتابع الحرب من غرفة العمليات لقد استخدم الجسر الجوى الأمريكي لنجدة إسرائيل مطار العريش لنزول الطائرات الأمريكية الجبارة التي تحمل الدبابات وكل الأسلحة الحديثة والعريش تقع خلف الجبهة، وبدأت ألاحظ تطورا خطيرا في معارك الدبابات التي اعترف الإسرائيليون أنفسهم بشراستها وكفاءة المصريين في إدارتها، كنت كلما أصبت لإسرائيل ١٠ دبابات أرى مزيدا من الدبابات.

لقد دخلت أمريكا الحرب لإنقاذ إسرائيل بعد النداء المشهور . أنقذوا إسرائيل . في اليوم الرابع، وهي تستخدم بكل صراحة مطار العريش المصري الذي يقع خلف الجبهة بكل وضوح لكي تحول الهزيمة الإسرائيلية إلى انتصار...

وتذكرت في تلك اللحظات ما فعلته أمريكا على جبهة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية ثم على الجبهة اليابانية، أما التطور الثالث والخطير، فهو أن أطلق صاروخان على بطاريتين مصريتين للصواريخ فعطلا البطاريتين تعطيلا كاملا، وعرفت بعد ذلك أنه صاروخ أمريكي جديد يسمى القنبلة التلفزيونية وأنه كان لايزال تحت الاختبار في أمريكا، فأرسلته لنجدة إسرائيل، لقد دخلت أمريكا الحرب لإنقاذ إسرائيل حتى بالأسلحة تحت الاختبار، وقنبلة المافريك وأسلحة أخرى، وأنا أعرف إمكاناتي وأعرف حدودي، لن أحارب أمريكا، ولذلك بعد عودتي من غرفة القيادة كتبت للرئيس الأسد شريكي في القرار برقية أخطره فيها أني قررت الموافقة على وقف إطلاق النار...

وسجلت في هذه البرقية موقفي، وهو أني لا أخاف من مواجهة إسرائيل، ولكني أرفض مواجهة أمريكا وإني لن أسمح أن تدمر القوات المصرية مرة أخرى وإنني مستعد أن أحاسب أمام شعبي في مصر وأمام الأمة العربية عن هذا القرار، وفي هذه الليلة اتخذت القرار بوقف إطلاق النار فقد كان لي عشرة أيام أحارب فيها أمريكا وحدي بأسلحتها الحديثة التي لم يستخدم أغلبها من قبل، وكان الموقف على غير ما يتصوره العالم كله فقد كان اعتقاد الجميع في العالم أن الاتحاد السوفيتي يقف إلى جانبنا، وأنه قد أرسل الجسر الجوي لنجدتنا ولكن الموقف كان غير ذلك في الواقع... فأمريكا وإسرائيل في مواجهتي، والاتحاد

السوفيتي في يده الخنجر ويقع وراء ظهري ليطعنني في أية لحظة عندما أفقد ٨٥٪ أو ٩٠٪ من سلاحي كما حدث في سنة ١٩٦٧.

يؤكد هذا الإتجاه شهادة رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة العربية الفريق محمد عبدالغني الجمسي في كتابه حرب أكتوبر ١٩٧٣. فيقول: في اليوم الرابع للقتال ٩ أكتوبر كانت القوات المصرية قد حققت إنجازاً عسكرياً، وتحطمت كل هجمات إسرائيل المضادة. وكان لابد من استمرار الهجوم لتحقيق الهدف الاستراتيجي للحرب وهو الوصول إلى خط المضايق؛ ذلك لأن ترك العدو بدون ضغط مستمر عليه معناه انتقال المبادرة له، خاصة وأن حجم قواته أخذ في التضاعف بشكل مقلق، وقد تناقشت مع الفريق أول أحمد إسماعيل ووجدت منه الحذر الشديد من سرعة التقدم شرقا، فكان يرى الانتظار لتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة، وتلقين الولايات المتحدة درسا قاسيا، لكن تأخير الهجوم إلى يوم ١٤ أكتوبر حرم مصر من تحقيق نصر ساحق على إسرائيل وأمريكا معا، حيث ضاعفت أسراب المقاتلات الأمريكية هجومها ضد قواتنا، فبلغت خسائرنا في هذا اليوم ٢٥٠ دبابة أي أكثر مما فقده العدو بقليل وتوقف هجوم قواتنا.

بات واضحا لنا في غرفة القيادة أننا نقاتل ليس فقط التكنولوجيا الأمريكية والدعم العسكري اللامحدود، وإنما نقاتل أمريكا ذاتها، وكان ذلك سببا مباشرا في فشلنا في تطوير الهجوم واختراق المضايق المؤدية إلى فلسطين المحتلة.

سابقت الولايات المتحدة الأمريكية الزمن لتعويض خسائراسرائيل بشحنات عاجلة من المقاتلات والصواريخ وأحدث الدبابات والمعدات العسكرية التي لم تستخدم بعد في ميادين القتال ،وأقامت امريكا أضخم جسر جوي في التاريخ لنقل هذه المعدات الي اسرائيل.

استخدمت واشنطن في عمليات النقل هذه ٢٣٨ طائرة نقل ونفذت ٥٦٩ طلعة جوية نقلت خلالها ٢٢,٥ ألف طن معدات عسكرية وأسلحة،كما شاركت ثماني طائرات نقل مدنية تابعة لشركة العال الجوية الاسرائيلية نقلت ٥٥٠٠ طن معدات عسكرية،بخلاف ما تم شحنه بحرا وبرا ،حتي بلغ اجمالي ما تم شحنه من أسلحة ومعدات عسكرية أمريكية الي ميدان القتال لمصلحة إسرائيل ٢٣ ألف طن من المدافع والدبابات والعربات المدرعة.

كانت طائرات الفانتوم التي امدت بها امريكا اسرائيل يقودها طيارون أمريكيون رأسا الي المطارات الاسرائيلية في الوقت نفسه يقرر الكونجرس الأمريكي اعتبارهذه الإمدادات العسكرية هدية لاسرائيل

بدون ثمن كما أعلن البنتاجون ان الجسر الجوي الامريكي من الإمدادات العسكرية لاسرائيل لن يتوقف حتي بعد وقف إطلاق النار.

المبحث الثاني

ثغرة الدفراسوار البقعة السوداء في نصر أكتوبر.

في مذكرات رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق، بنيامين أليعازر،يعترفبأن البنتاجون نصحه بالحصول على أي مساحة غرب القناة لذلك لم تتواني إسرائيل في تنفيذ توجيهات واشنطن العسكرية.

ففى ليلة ١٦ اكتوبر تمكن شارون من التسلل عبر منطقة الدفراسوار ببعض الدبابات وبناء جسر معدنى والعبور لغرب القناة واحتلال السويس وتطويق الجيش الثالث الميداني من الإسماعيلية وحتى مدينة السويس جنوبا من خلال ما عرف بثغرة الدفرسوار التى كانت بين الجيشين الثاني والثالث الميداني امتداداً بالضفة الشرقية لقناة السويس وتحديدا جنوب الاسماعيلية.

في يوم الجمعة ١٩ اكتوبر.٢٣ رمضان ، اصدرت القيادة المصرية بيانين ٤٨ ، ٤٩ في الساعة الثامنة الا الثلث مساء واشارا الي عملية التسلل الي منطقة الدفرسوار ، وركزت اذاعة اسرائيل ووسائل اعلامها علي عملية التسلل الي الضفة الغربية للقناة التي يقودها قائد المنطقة الجنوبية (إرييل شارون) تحويلاً للأنظار عن المعركة الرئيسية في قلب سيناء.

السبت ٢٠ اكتوبر .٢٤ رمضان ، اصدرت القيادة المصرية بيان رقم ٥٠ وقدر المراقبون ان الحشد المدرع في ميدان القتال يضم مالايقل عن ١٤٥٠ دبابة ، وتم اسقاط ١٥ طائرة اسرائيلية واسر بعض طياريها ، واشارت البيانات

الصحفية الي مغامرة الدفرسوار وكيف تمكنت القوات المتسللة من تكوين جبهتين رئيسيتين علي الشاطئ الغربي للبحيرات ، الاولي في منطقة سرابيوم ، والثانية في الدفرسوار، وأمكنها من الاحتفاظ بخط إمداد مع الشاطئ الشرقي للقناة عن طريق اسفين بين الجيشين الثاني والثالث المصريين.

تأزم الموقف أكثروأكثروزاد الوضع تعقيداً بنشر إسرائيل صوراً لجولدا مائيرفي منطقة الزيتية القريبة من السويس التي خاضت معركة بقاء شرسة.

سارع الرئيس السادات بعقد مؤتمر بمقر القيادة كان رأي الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الأركان بسحب الفرقة الرابعة واللواء ٢٥ المدرع من نطاق الجيش الثالث ودفعهما بمساندة طائرات الـU 16 الروسية، لتصفية الثغرة بمن فيها مصريين وإسرائيليين تماماً والقضاء عليها في مهدها.

لكن السادات رفض الفكرة بشدة، سعياً لـ"حفظ أرواح أبنائه الجنود"، وقال للفريق الشاذلى " لا اريد أن أسمع هذه الإقتراحات مرة ثانية لو أثرت هذا الموضوع مرة أخرى سأحاكمك"

لينشب بعدها الخلاف الشهير بين الرجلين، أقال السادات بعده رئيس أركانه الغاضب.

ولم تمر أيام قليلة حتى عبرت عدة فرق إسرائيلية غرب قناة السويس وطوقت الجيش الثالث وحاصرته ليتم الإختراق

عبررأس جسر سريع بقوة ٧ دبابات و٣ مدرعات و٢٥٠ فرد مشاة بقيادة الجنرال إيريل شارون.

تدفقت القوات الاسرائيلية على منطقة غرب القناة ووصلت إلى ثلاث فرق مدرعة بقيادة شارون وابراهام وماجن.

في مذكرات الفريق سعد الدين الشاذلى يتهم السادات صراحة بأنه "أجهض النصر الكبير وأنه مسئول مسئولية كاملة عن حصار الجيش الثالث وأن التراخي مع الثغرة كان أول غلطة كبيرة ترتكبها القيادة المصرية خلال الحرب وأن هذه الغلطة جرّتنا "إلى سلسلة أخرى من الأخطاء التي كان لها أثر كبير على سير الحرب ونتائجها"

تمكن شارون لبعض الوقت من قطع خطوط الاتصال بين الجيش الثالث والقيادة العامة.

كما قام شارون بالهجوم على ميناء الأدبية والزيتية حيث مواقع القوات الجزائرية، فصمدت هذه القوات في وجه الهجوم البري الإسرائيلي.

كانت الخطة الأمريكية الإسرائيلية تقضي بالإستيلاء على هذين الميناءين لاستخدامهما في نقل العتاد الأمريكي الثقيل دبابات ومدفعيه لساحة المعركة التي أراد الأمريكيون من خلالها إيصال رسالة للعرب مفادها:أن الطريق إلى القاهرة هو الآخر مفتوحا، فلا داعي من التفكير في الزحف نحو تل أبيب.

كانت هذه أفضل فرصة لقنص القوة الإسرائيلية والإجهاز علي شارون الذي أصبح وحيداً معزولاً بدون وقود ولا ذخيرة، وكان المنطق العسكري يؤكد أن هذه القوة الإسرائيلية لا مصير لها سوى الإبادة أو الأسر، وخاصة بعد أن تصدت القوات الجزائرية لطائرات الدعم الأمريكية وأسقطت واحدة منها في

خليج السويس، فقطعت عنه الإمدادات الإسرائيلية والأمريكية معا، وحاصرت القوات الجزائرية مدعومة بكتيبة من قوات الصاعقة المصرية وصائدي الدبابات القوات الإسرائيلية بين الأدبية ومنطقة الكيلو ١٠١، فبكى شارون وجنوده بكاءً مريرا ففشلت خطتهم فشلاً ذريعاً وأصبح شارون بين شقي الرحي محاصراً.

زاد الأمر مرارة في نفوس الإسرائيليين، عندما اعترف قائد الثغرة شارون بفقده ٣٠٠ قتيل و١٠٠٠ مصاب في ليلة واحدة من معارك الثغرة.

في يوم الثلاثاء ١٦ اكتوبر أصدرت القيادة المصرية بياناً رسمياً في الساعة الثالثة الا الثلث ظهرا وتضمن قيام القوات المصرية بصد وتدمير كافة هجمات العدوعلي رؤوس الكباري شرق القناة في المحور الاوسط وبلغت خسائر اسرائيل ١٥ طائرة ، ٨٥ دبابة ، ٥٦ عربة نصف مجنزرة وأسر أطقم كاملة من الاسرائيليين،ثم اذاع المتحدث العسكري البيان رقم ٤٤ وتضمن محاولة بعض مفارز العدو المدرعة من الكوماندوز بعبور البحيرات المرة في طرفها الشمالي عند الدفرسوار مستخدمة ٧ دبابات للاغارة علي المواقع المصرية غرب القناة.

تأزم موقف شارون وقواته بعدما بادر السادات بإعلانه إمكانية القضاء على الثغرة، ليرتعد الإسرائيليون.

يعترف وزير الدفاع الراحل موشي ديان بخطأ عبور قواته واقترح إلغاء الفكرة "لأن المصريين سيذبحون أولادنا على الشاطئ الغربي".

لكن الجنرال جونين قال: "لو كنا نعلم مسبقاً أن ذلك سيحدث ما بدأنا عملية العبور، أما الأن فقد عبرنا فلنستمر حتى النهاية المريرة"...

تعقد وضع القوات الإسرائيلية غرب القناة وأصبحوا في مأزق صعب محاصرون بين الموانع الطبيعية والإنهاك والرعب من الهجوم المصري المضاد الوشيك المتوقع الذي سيبيدهم عن آخرهم.

في يوم الثلاثاء ٢٣ اكتوبر تفجر القتال في منطقة القناة بعد ساعات من توقف العمليات الحربية، أصدرت القيادة المصرية ٣ بيانات اذيع الأول في الساعة ١٠:٣٧ صباحا و تضمن استغلال العدو وقف اطلاق النار و قيامه بدفع عدد من الدبابات ليلا الي منطقة الدفرسوار محاولا التسلل لاكتساب بعض المواقع الجديدة التي لم يكن له وجود فيها قبل قرار وقف اطلاق النار و تصدت لها القوات المصرية و تطور القتال باشتراك الطيران و خسر العدو ٧ طائرات.

واذيع البيان الاخير في الساعة العاشرة مساء ، ومما ورد به: خلال اليوم اخذت قوات العدو تنتشر جنوبا في اتجاه مدينة السويس محاولة قطع طريق الامدادات و المواصلات بين السويس و القاهرة ، واخذت مفارز العدو منذ الصباح تناوش بعض مواقع الصواريخ المصرية ، واصدرت الحكومة المصرية بياناً كشفت فيه تعمد اسرائيل خرق قرار مجلس الامن ، و عاد مجلس الامن للانعقاد و اصدر قراره رقم ٣٣٩ بالوقف الفوري لجميع أشكال اطلاق النار وكل الاعمال العسكرية فقرر الرئيس السادات اشتراك قوات المقاومة الشعبية في القتال المتلاحم غرب القناة باعتبارانها معركة كل الشعب.

في يوم الاربعاء ٢٤ اكتوبر - ٢٨ رمضان، أصدرت القيادة العامة المصرية ٣ بيانات اذيع الأول في الساعة ١٢:٣٠ ظهرا متضمنا تأكيد إسرائيل علي خرق قرار وقف اطلاق النار كما حدد البيان المواقع التي تسيطر عليها القوات المصرية شرق وغرب القناة مستثنيا ثغرة بطول ٦,٥ كيلو متر ملاصقة للبحيرات المرة وتواجد وحدات فرعية للعدو مبعثرة ومتداخلة بين القوات المصرية في بعض الأجزاء غرب القناة خلف المحور الجنوبي حتي الأدبية ، وأذيع البيان الأخير في الساعة ٥,٤٥ بعد الظهر ورد فيه: في هذا اليوم حشد العدو قوة كبيرة من دباباته ليقتحم بها مدينة السويس عن طريق الزيتية و طريق السويس -القاهرة والمصانع من أجل تطويق مدينة السويس ، اعتقدت القوات الإسرائيلية أنها في نزهة الي مدينة السويس وأنها عبارة عن مدينة يسكنها الأشباح و بمجرد ان وطء العدو الصهيوني أرض مدينة السويس ليفاجاء بخروج الكمائن المصرية وأطقم اقتناص الدبابات و الصواريخ المضادة للدبابات والمقاومة الشعبية التي استبسلت من أجل الدفاع عن مدينة السويس ، وتطور الصراع حتي وصل الي القتال بالسلاح الأبيض حتي حل الظلام فأجبرت القوات الاسرائيلية علي الفرار والانسحاب مخلفة وراءها أعداد كبيرة من الدبابات المحترقة و جثث قتلاهم المتفحمة.

حاول العدو مرة ثانية مهاجمة المنطقة الواقعة جنوب الأدبية ولكنه فشل بفضل تلاحم الجيش المصري مع المقاومة الشعبية لأهالي السويس لذا قرر الرئيس السادات ان يكون يوم ٢٤ اكتوبر عيدا قوميا للسويس وللمقاومة الشعبية.

في يوم ٢٥ اكتوبر الموافق أول أيام عيد الفطر المبارك قامت القوات الإسرائيلية بمحاولتين لاقتحام مدينة السويس ولكنهما فشلتا.

في ساعة مبكرة من صباح الاحد ٢٨ اكتوبر قامت القوات الاسرائيلية بمحاولة خامسة و أخيرة لاقتحام مدينة السويس ولكنها فشلت.

تأكد للولايات المتحدة من خلال أقمارها الصناعية من قدرة الجيش علي تطويق الثغرة.

فسارعت واشنطن بإيفاد وزير خارجيتها الثعلب الماكر هنري كسينجر، الذي أبلغ السادات بعلم بلاده بقدرة القوات المصرية على تدمير الثغرة، والقضاء على ما يقرب من ثلث الجيش الإسرائيلي.

ولكن كسينجر أبلغ السادات بكل وضوح وبلهجة حادة قاطعة في عرف السياسة تعتبر نوعاً من أنواع التهديد الصريح والمباشر بأن واشنطن لن تقف صامتة لو حدث هذا وستتدخل بقوات أمريكية مباشرة.

فردّ السادات بكل قوة بأنه لن يترك شبراً من سيناء حتى ولو كلفه هذا تدميرالجيش المصري بأكمله، فعاد الثعلب المراوغ كسينجر لتهدئة الأجواء.

"أعدك بعودة سيناء بالمفاوضات مقابل وقف إطلاق النار"

وبدأت وقتها مفاوضات السلام الشهيرة والتي عرفت بمفاوضات "الكيلو ١٠١" نسبة إلى طريق السويس القاهرة.

احدي عجائب هذه الحرب والغازها هو هذه الثغرة وموقف السادات منها فقوات شارون أصبحت علي أبواب القاهرة ولم يفصل بينها وبين القاهرة

إلا ٦٠ ك فقط ولكن الهجوم المصري الحقيقي لم يأتِ بعد ولم تطلق القاذفات المصرية اى قنبلة على القوات الإسرائيلية.

من المسئول عن الثغرة ؟

ولماذا لم ينصت السادات لرأي قادته كان في استطاعة القوات الجوية المصرية إبادتها عن بكرة أبيها بتوجيه ضربه جويه لهذه القوات الإسرائيلية التي عبرت القناة أو يترك هذا لنا؟

كان شارون يبكي كالنساء ويرفض الانصياع لقادته لأنهم تركوه وجنوده بين شقي الرحي وقال نصاً لقادته في تسجيل نشره الكاتب الكبير موسى صبرى في كتابه وثائق حرب أكتوبر: أن المخابرات العسكرية المصرية تحتفظ به، قال :" لقد كان شارون يتحدث إلى قائد طائرة هيلكوبتر وهو يبكى صارخاً ويقول "الموقف خطير، أمامى ٢٥٠ قتيلاً وجريحاً، أرسلوا بسرعة طائرات هليكوبتر، لتساعد فى نقل الضحايا، نحن هنا في الجحيم ننتظر الموت وأنتم تصدرون الأوامر من مكاتبكم المكيفة!

كيف استطاعت القوات الإسرائيلية في ١٧ أكتوبر بناء كوبرى معدنى يستغرق بناءه اكثر من ٥ ساعات في وضح النهار دون توجيه ضربه جوية لتدميره؟ من المسئول الأول عن الثغرة وتضخيمها التي أصبحت كبقعة سوداء في ثوب نصر أكتوبر الأبيض؟

لماذا اصر السادات على تطوير الهجوم دون وجود مظلة جوية تحمى القوات البرية على الارض؟

لماذا اصر السادات على تفريغ هذه المنطقة بالتحديد من القوات ؟

ولماذا لم تنفذ الخطة التي سميت (شامل) لتدمير هذه القوات الاسرائيلية لدق المسمار الأخير في نعش الأمل الإسرائيلي الأخير الذي شوه نصر أكتوبر؟

الحديث عن الخطة (شامل) التى أعدتها القوات المسلحة لتصفية قوات العدو فى ثغرة الإختراق غرب قناة السويس، يبدو مقتضبا فى معظم المراجع العسكرية التى تناولت حرب أكتوبر. لكن هناك اتفاق على أن أهداف القيادة المصرية من هذه الخطة كان يتمثل فى إحداث أكبر قدر من الخسائر فى قوات العدو وأسلحته ومعدته، مع القيام بعمليات إزعاج للعدو على أوسع نطاق ممكن حتى يصبح بقاؤه غرب القناة جحيما لا يحتمل، بالإضافة إلى إرغام إسرائيل على الاستمرار فى تعبئة قواتها الاحتياطية. مما يرهق اقتصادها القومى، ويهدد الحياة العامة بالشلل الكامل، مع منع العدو من تحسين وتحصين مواقعه شرق وغرب القناة .[1]

تم وقف إطلاق النار الفعلى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر. بعد وصول قوات الأمم المتحدة، واعتبارا من يوم ٣١ أكتوبر بدأنا تنفيذ حرب استنزاف مخططة ضد العدو غرب وشرق القناة. كانت أمامنا مهمة رئيسية وهى ألا نسمح للعدو بأن يتمركز أو يتخندق ويثبت أقدامه فى الغرب. كان هذا عملا يوميا للقوات المسلحة، إلى أن يبدأ الهجوم لتصفية هذا الجيب بعملية شاملة.

---

[1] كتاب المعارك الحربية على الجبهة المصرية للمؤرخ العسكرى اللواء جمال حماد.

وضعت الخطة (شامل) الهجومية.. نوقشت ،صدق عليها القائد العام ،وتقرر أن يعين لقواتنا فى الغرب قيادة منفصلة تقود جميع أنواع القوات لتصفية الجيب، ونترك قواتنا فى الشرق تقاتل معركتها. وقوات الجيش الثانى تقاتل معركتها، وقد سلمت الخطة الهجومية لجميع قيادات القوات المسلحة (الطيران والدفاع الجوى والبحرية)، واختير اللواء سعد مأمون (بعد شفائه من الأزمة القلبية) لقيادة قوات الهجوم وتنفيذ الخطة. وعرضتها على السيد الرئيس القائد الأعلى أنور السادات فى ٢٤ ديسمبر وصدق عليها.. ولم يتبق إلا تحديد الموعد بقرار من القائد الأعلى للقوات المسلحة.

حرب الاستنزاف كانت مستمرة.. طبقا للتخطيط الموضوع لها، وهو ضرب قوات العدو شرق وغرب القناة، وعلى طول المواجهة بهدف إيقاع أكبر خسائر فى أرواحه ومعداته، ومنعه من تحسين مواقعه.

وطبقا لبيانات الأمم المتحدة قامت قواتنا بـ٤٣٩ عملية ضد العدو.. ٣٩ عملية فى نوفمبر و٢١٣ فى ديسمبر، ومن أول يناير إلى ١٧ يناير ١٣٣ عملية. وهذه هى الخسائر التى أعلنها العدو: ١١ طائرة، ٤١ دبابة ومدرعة، ١٠ رشاش ثقيل، ٣٦ معدة هندسية، ١٨٧ قتيلا. لم يحدث إذن أى توقف فى عملياتنا.. حتى تم اتفاق فك الارتباط (الاشتباك).. استمرت حرب استنزاف لم تترك للعدو هدوءا ليلا ونهارا.

خطة تصفية الثغرة (شامل) سلمت إلى جميع قيادات القوات المسلحة فى ٧ ديسمبر ١٩٧٣، وصدرت التعليمات لكل القوات للاستعداد لتنفيذها (تخطيط، إعداد، تدريب، استكمال)، وترك تحديد ساعة الصفر

للقائد الأعلى (السادات) لاختيار الوقت المناسب سياسيا، وتم هذا فى اجتماع المجلس الأعلى للقوات المسلحة برئاسة الرئيس السادات الذى صدق على الخطة. فى ٢٤ ديسمبر، وكان أمره «كونوا جاهزين فى أى لحظة».[١]

بدأ تكليف اللواء سعد مأمون من المشير أحمد إسماعيل بقيادة الهجوم على الثغرة فى الساعة الثالثة من مساء ١٢ ديسمبر.. استدعاه القائد العام وقال له: «يبدو يا سعد إنك ستغادرنا إلى الميدان من جديد، كمندوب للقائد العام لقيادة القوات الرئيسية غرب القناة لتصفية الثغرة. أنت من الآن مسئول أمام وزير الحربية والقائد العام عن تدمير الجيش الإسرائيلى.. وثقتى فيك لا حدود لها».

في حوار للواء سعد مأمون مع الصحفى الكبير موسى صبرى بصحيفة أخبار اليوم يسرد اللواء مأمون تفاصيلاً أكثر عن الخطة شامل بعدما سافر اللواء سعد مأمون إلى الجبهة على الفور، وقام بجولة على الحدود الأمامية للقوات من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. وقام بتعديل الخطة (شامل) على الطبيعة وفق ما ظهر أمامه من حقائق جديدة فى الميدان، وصدق وزير الحربية على التعديل الأخير.

---

(١) حوار للمشير محمد عبدالغنى الجمسى، الذى خلف الفريق سعد الشاذلى فى رئاسة الأركان العامة اعتبارا من يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٣مع الصحفى الكبير الراحل موسى صبرى وتصريحات نادرة عن بعض تفاصيل الخطة (شامل) أخبار اليوم.

طبقاً للواقع العسكري والتمركز الإسرائيلي علي الأرض فيسهب عن الخطة شامل:

اعتمدت الخطة شامل على تقدير سليم لموقف العدو، وتحديد واضح لنقاط ضعفه، وتحديد سليم لنقاط قوته كان العدو فى مصيدة، وكان يجب أن أزيده إحساسا بأنه فى مصيدة، كان العدو متخذا أوضاعا دفاعية لا هجومية. كان يدافع فى حالة نفسية سيئة.

ويبدو قلقه فى جميع تصرفاته، كما أن أوضاعه الدفاعية تدل على فزعه.. مثلا رص العدو أمامه حوالى ٧٠٠ ألف لغم. حفر خنادق مضادة للدبابات على معظم المواجهة (عرض من ٦ إلى ٧ أمتار، وعمق ٥ أمتار) كان لديه من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ دبابة. وكان شعارى أن نلقن العدو درسا أقسى من دروس العبور وتحطيم حصون بارليف. وواقع الحال أن الجيب الإسرائيلى فى الغرب كان هشا.. كل دبابة للعدو فى الغرب كان يقابلها حوالى دباباتين فى قواتنا، وقطعتين مضادتين للدبابات.. علاوة على نيران المدفعية والطيران، علاوة على احتياطى القيادة العامة للقوات المسلحة الموضوعة تحت سيطرة المشير أحمد إسماعيل.

وقد قدرت الخطة الموضوعة لتصفيتة كافة الاحتمالات، بطريقة لعلها أحسن من تحضيرات ٦ أكتوبر، وكان تفكيرى أن النصر فى هذه العملية لا يحتمل الجدل ولا التجربة، وقمنا بمشروعات حقيقية على أرض مشابهة.

كان التقدير: بالنسبة للوضع العسكرى العام احتواء العدو تماما فى الغرب.. لقد حاصرنا العدو من كل جانب، وله منفذ واحد فى الدفرسوار لا

يزيد عرضه على ٦ كيلومترات، وكان مقررا إغلاق هذا المنفذ بالقوات فى ساعات قليلة.. وهذه الشريحة كان مخصصا لها أعداد هائلة من القوات.

كان من المقرر أن نصفى الجيب الإسرائيلى على محاور بالتعاون مع كافة أفرع القوات المسلحة، أى أننا كنا سنهاجم من ٤ اتجاهات (تم التعديل لتصبح ٥ اتجاهات).

كانوا حقا فى مأزق فقوات العدو فى ٢٢ أكتوبر تمكنت من عمل رأس جسر واحد غرب الدفرسوار بمساحة ٧٠ كيلومترا مربعا (٧ فى ١٠).. قواتنا فى الشرق كانت قد صنعت رؤوس جسور فى الجيوش مساحتها ٧ آلاف كيلومتر مربع، أى مائة ضعف، كان موقف العدو العسكرى حرج للغاية.

لذلك حاول أن يعوض هذا الوضع الحرج (صغر حجم رأس جسره فى الغرب) إلى وضع محتمل بأن ينتشر جنوبا. ثم طور فكرته لأنه أحس أن هذا الانتشار فيه نوع من إضعاف قواته فى الكثافة أمام القوات المصرية.. حاول دخول السويس. قطع خطوط المواصلات لعزل جزء من الجيش الثالث فى الشرق. والهدف هو أن يساوم بهذا الوضع الجديد على موقفه الحرج فى الغرب، ولكن وضعه عسكريا هش.

لا يوجد لدى العدو ما نعبر عنه بالاتزان الاستراتيجى.. قواته شبه محصورة فى الغرب. عجز عن زحزحة قواتنا فى الشرق بوصة واحدة على طول المواجهة من عيون موسى جنوبا إلى بور فؤاد شمالا. وخلال حرب الاستنزاف اعتبارا من نوفمبر ١٩٧٣ اكتسبنا نحن أرضا جديدة غربا وشرقا. ثم إنه مجبر على التعبئة الكاملة فى إسرائيل. كل لقمة ،كل جرعة ماء ،كل دانة مدفعية

،كل نقطة بنزين يجب أن تصل إليه من بعد ٣٠٠ كيلومترفى الخلف من مخنق عرضه ٦ كيلومترات فتخطيطنا كان يركز على غلق هذا المخنق أو الممر، ونشعله نارا. فى نفس الوقت الذى ندمر فيه قواته فى الغرب، وأستطيع أن أقول أن هذا كان سيتم فى (لا وقت) أى وقت قليل جدا!؛ لأننا نعلم من خط بارليف أن الدفاع مهما كان حصينا، يمكن اختراقه. فما بالك بهذا الجيب.

قواعد طيراننا قريبة جدا.. الدفاع الجوى استطاع أن ينشئ حائطا ثانيا للصواريخ أقوى مما كان ، العدو ثقته فى نفسه وقيادته اهتزت، ولا شك أن العدو بتصويره الجوى لقواتنا فى الغرب أدرك ما يمكن أن يحدث له، ولذلك فضل الانسحاب فى سلام. وكان من المستحيل أن تنسحب إسرائيل لو كان لديها مجرد أمل فى إمكانية البقاء .[١]

لماذا انعش السادات إسرائيل ومنحها قبلة الحياة بتراخيه في التعامل مع ثغرة شارون؟

وإذا أراد السادات تخفيف العبء عن الجيش السوري في الشرق، فلابد أن يعود لرئيس الأركان وللقيادة العسكرية المركزية وللقادة العسكريين وعندما

يعترض رئيس الأركان أو قائد القيادة المركزية هنا يكون رأيهما هو المرجع ، لأنهما الأدرى بأوضاع القوات وتمركزها وحالتها وقدرتها العسكرية لكن السادات خلط بين السياسة والعسكرية وهذا خطاء فادح فسحب القوات من غرب القناة، لتصبح المنطقة خالية ومن ثم حدث ما حدث من أمر الثغرة.

---

(١) المصدر السابق بتصرف.

ليتفاجاء قادة الجيش المصري قبل أن يندهش العالم بقبول السادات وقف إطلاق النار في ٢١ أكتوبر!؟

وفى مساء ١٧ يناير عام ١٩٧٤م تم اعلان اتفاق فصل القوات بين مصر وإسرائيل تحت اشراف الأمم المتحدة وتولت السياسة الأمر بعد ذلك.

فى يناير ١٩٧٤ تم توقيع اتفاق فض الاشتباك المصرى الاسرائيلى والذى ينص على سحب اسرائيل لكافة قواتها غرب قناة السويس وسحب مصر معظم قواتها التى عبرت والإبقاء على ٧ آلاف جندى و ٣٠ دبابة فقط .

سيطرت مصر على أرض سيناء تقدر ب ١٢ كيلو شرق القناة من بورسعيد الى ٨ كيلو متر شرق القناه جنوب السويس وهى حدود المنطقة (أ) التى نصت عليها بنود معاهدة كامب دايفيد.

الخاتمة...

كعادتنا دائما نلجأ إلى الله ونحن مقهورين ،ضعفاء ، مكسورين ،لكننا سرعان ما ننساه حينما يفرج كربنا، ورغم أن خطة وتنفيذ حرب أكتوبر اعتمدت بالأساس على الدعم الإلهي، إلا أن بعض صانعي انتصار أكتوبر وغيرهم من المعلقين والمحللين طوال الـ ٣٥ عاما الماضية أسهبوا في الحديث عن العبقرية العسكرية وبسالة المقاتل ودقة التخطيط وما شابه، كعناصر جلبت هذا النصر، لا ننكر نجاح العرب في تطبيق هذه المعايير الحربية بكفاءة أذهلت العالم، وحققوا نصراً غير المفاهيم في جميع المعاهد والجامعات العسكرية العالمية، لكن لم يكن هذا ليحدث لولا إرادة الله، وهذا الكلام ليس روحياً فقط، بل تؤكده أحداث شهدتها أرض المعركة، فبدءاً من اختيار السادات وحافظ الأسد اسم "بدر ٧٣" لتلك العملية، ومروراً بطلب الرئيس السادات من شيخ الأزهر الإمام عبدالحليم محمود القيام بصلاة استخارة ثم كانت الرؤيا الشهيرة للإمام وبشارته للرئيس السادات بقرب حلول النصر وتربية الجنود والضباط طوال الست سنوات التي سبقت الحرب تربية إيمانية سليمة، وكان ذلك أول الدروس المستفادة من هزيمة ٦٧ فقد كنا حينها أقوى من الصهاينة بكثير، وقادرين بالفعل على هزيمتهم، لكن الغرور تملك الجميع، وفي لحظات زهو وفخر بقوتنا وسلاحنا جاءتنا ضربة قاصمة كان من الممكن أن تقضي علينا للأبد، خاصة وأن العدو أمعن في شن حرب نفسية هدفها زرع الذل والرعب بقلوبنا، كان يريد أن يقنعنا بأنه القوة التي لا تقهر والجيش الذي

لا يمكن محاربته، وكانت موجاته الإذاعية الموجهة باللغة العربية تبث على مدار الساعة برامج تدميرية لا يمكن مقاومتها بأية أسلحة أو وسائل بشرية، وبدأ اليأس يدب في نفوس كثير من الجنود وكذلك الخوف، وهنا تفطنت القيادة السياسية لتلك المؤامرة، ولم يكن هناك سبيل لوأدها إلا الدين فقبيل نكسة ١٩٦٧ كانت الشيوعية سيدة الموقف ترافقها مصطلحات أخرى مثل الوجودية والمادية وغيرهما، أما قبيل ١٩٧٣ كان المصحف رفيق البندقية، وكان الشيوخ يستقدمون للوحدات على الجبهة لتلقين الجنود دروسا تبين لهم معنى الجهاد وقيمة الشهادة في سبيل الله، وترافق ذلك مع تدريبات عسكرية مستحدثة وقاسية، فبات الجندي ماهراً جسدياً وروحياً.

كانت قوة وجهوزية الجيش الصهيوني تعادل خمسة أضعاف الجيوش العربية مجتمعة، إضافة إلى وجود عدة موانع طبيعية وصناعية وعسكرية تجعل من وصول القوات العربية للاشتباك مع الجيش الصهيوني أمراً مستحيلاً، فلم يكن هناك من سبيل أمام العرب سوى المباغتة من أجل إحداث الإرتباك داخل صفوف العدو وإتمام بقية بنود الهجوم والإشتباك.

وانتهاء بجعل كلمة "الله أكبر" شعار القتال طوال أيام المعركة، يتضح أن الجيوش العربية كانت على قناعة تامة بأنها لن تقدر على مواجهة "الجيش الذي لا يقهر" إلا بدعم إلهي.

في السادس من أكتوبر تلقي الجيش المصري اوامر بالتكبير أثناء العبور، ترافقها أوامر بجواز الإفطار حيث كانت الحرب في اليوم العاشر من رمضان، رفض الجنود الإفطار فقد كان الجنود يتمنون الشهادة وهم صائمون، زأرت الحناجر رغما عن الصيام بقول "الله اكبر" كان الفريق سعد الدين الشاذلي في صباح يوم الجمعة الموافق ٥ أكتوبر١٩٧٣ في زيارة إلي الجيش الثالث الميداني للأطمئنان علي استكمال الإستعداد للقتال وفي لقائه مع اللواء عبدالمنعم واصل قائد الجيش الثالث الميداني عرض عليه اللواء واصل كلمة مكتوبة سيلقيها علي قوات الجيش قبيل بدء القتال لتحفيز همم الجنود أثني الفريق سعد الدين الشاذلي علي الكلمة بأنها قوية ومشجعة لكنها طويلة يصعب أن ينصت إليها المقاتلون بتركيز وفي تلك اللحظة لمعت في ذهن الفريق سعد الدين الشاذلي كلمة أفضل تبعث الهمم في النفوس هو نداء (الله أكبر الله أكبر) واستراح اللواء واصل لهذا الرأي وتم تجهيز مكبرات صوت ترانزستور صباح يوم السبت سلمت إلي الجيشين الثالث والثاني ليعلو ويصدح نداء الله أكبر، الله أكبر فطغت التكبيرة على أزيز الطائرات ودوي المدافع.

اعتمدت خطة حرب أكتوبر بشكل أساسي على مجهود المخابرات العامة المصرية والمخابرات السورية وعدد من أجهزة المخابرات العربية، بما فيها الجزائرية، فتكاتفت الجهود من أجل التخطيط للحرب وخداع أجهزة الأمن والاستخبارات الصهيونية والأمريكية والغربية عموماً، ومفاجأة تل أبيب بهجوم عبر الجبهتين المصرية والسورية.

في مايو ١٩٧٣ استدعي اللواء الجمسي رئيس عمليات القوات المسلحة العقيد أركان حرب صلاح فهمي(١) ليكلفه بتحديد ساعة الصفر وموعد الهجوم علي خط بارليف بالتنسيق مع الأشقاء السوريين حدد العقيد صلاح فهمي نحلة مواعيد الأعياد والعطلات الرسمية في إسرائيل وتوقيتات اجتماعات الكنيست وسلطات اتخاذ القرارات في إسرائيل الإسرائيلي وبدقة متناهية حصل من هيئة الأرصاد الجوية علي حسابات ساعات الليل والنهار واتجاهات تيار المياه في قناة السويس وحركة المد والجزر فيها ومن أجهزة المخابرات المصرية مدته بآخر التقارير والمعلومات الحديثة عن خطط الدفاعات الإسرائيلية ونظام استدعاء جيش الدفاع الإسرائيلي وتوقيتات استدعاء الاحتياطي والدعم الخارجي لإسرائيل بكل تفاصيله لذلك حدد صلاح نحلة يوم السادس من أكتوبر وأن أفضل وقت للهجوم هو الساعة الثانية ظهراً بعدها التقي الرئيس السادات بالرئيس حافظ الأسد بالإسكندرية واتفقا علي موعد شن الحرب علي إسرائيل بالتنسيق والتشاور مع أجهزة مخابرات عربية فكان التعاون العربي جلياً ومتميزاً في الشق المعلوماتي والمخابراتي.

(١)العميد أركان حرب صلاح فهمي نحلة هو صاحب فكرة غلق مضيق باب المندب المدخل الجنوبي للبحر الأحمر مما جعل ميناء إيلات ميناءاً مهجوراً طيلة مدة الحرب

خطة الخداع الاستراتيجي التي قامت بها مصر لخداع العدو وتضليل الأقمار الصناعية الأمريكية والروسية كانت أحد الأسباب الرئيسية لنصر أكتوبر.

وللحقيقة وللتاريخ حرب أكتوبر إلي الآن مازالت محاصرة في خزائن المخابرات الأمريكية والروسية ولانعرف نحن العرب إلا بعضاً من كل عن أسرار هذه الحرب فالصور والأفلام التي رصدتها الأقمار الصناعية للإتحاد السوفيتى السابق والولايات المتحدة الأمريكية بدقة متناهية لحرب أكتوبر لانملكها ولانعرف عنها شيئاً ولايريدون الإفراج عنها فواشنطن وموسكو يملكان أهم وأخطر وأعظم اللحظات في عمر هذة الأمة ، فالروس صوروا فيلماً مسجلاً لعملية العبور كاملة وما تلاه من عمليات عسكرية بح صوت مصر في المطالبة بنسخة من هذا الفيلم والروس الى الآن لم يستجيبوا.

ومازال الأمريكان مصرين على حجب صور الأقمار الصناعية لحرب أكتوبر عن مصر والعرب لحماية الإمبراطريات العالمية من عودة مصر والأمة العربية للخارطة العالمية.

فمازالت هذه الصور محفوظة في خزائن بأرقام سرية وتحت حراسة مشددة، ولا أحد يصل إلى جزء منها إلا بإذن مسبق من أجهزة المخابرات، ولفئة محدودة من كبار القادة العسكريين دون السماح لهم بإخراجها أو تصويرها،

والتعهد بعدم إفشاء أسرارها لوسائل الإعلام والصحافة وإلا تعرض لعقوبة الخيانة العظمى.

المؤامرة الأمريكية السوفيتية لإخفاء الصور الحقيقية لحرب أكتوبر بدأت ملامحها في الظهور أثناء الأيام الأولى للحرب، حينما قدم السوفيت للرئيس السادات صورا التقطتها الأقمار الصناعية السوفيتية، تكشف بوضوح دخول الولايات المتحدة بكامل قوتها الحرب، وتكشف أيضا أن الأمريكيين تكبّدوا خسائر فادحة في المعدات وربما في الأرواح، وكان لهذا الإجراء انعكاسات هامة ليس فقط داخل الولايات المتحدة وإنما على جميع الدول التي تمتلك تكنولوجيات التصوير الفضائي آنذاك، فاندلعت معركة جديدة وحدت العالم ضد العرب، وفي هذا السياق يقول (فيكتور غورباليوف) الذي كان موظفا في سفارة الاتحاد السوفيتي في سوريا وقت الحرب . يقول في مذكراته: اشتعل الغضب في البيت الأبيض بمجرد أن سمع الأمريكيون بموضوع تلك الصور، ولم نفهم في البداية مبرر انزعاجهم من علم المصريين بتدمير معظم القطع العسكرية الأمريكية المتطورة على يد القوات المصرية، فالمصريون توصلوا لهذه الحقيقة وكانوا بصدد إعلانها للعالم مدعومة بالأدلة التي قدمها لهم السوفييت، كما أن أمريكا كانت تدعم إسرائيل جهراً، وحقيقة الجسر الجوي كانت معروفة على مستوى العالم، وكذلك تطورات المعركة أثبتت للمصريين أنفسهم أنهم قادرين على الصمود في وجه أمريكا لأمد طويل،

أما الأمريكيون فكانوا متأكدين أنهم على شفا كارثة جديدة لا تقل عن فاجعة فيتنام، ورغم ذلك قاتلوا بضراوة في سيناء، وداخل الاتحاد السوفيتي وصل القادة لقناعة مفادها أن الولايات المتحدة تخوض معركتها هي، وقبول فكرة تدعيمها لحليفتها إسرائيل مجرد فكرة ساذجة. فقد كان واضحاً أن واشنطن لن تقبل أبداً بأي انتصارللعرب، وبالرغم من ذلك لم تتطور مشاعر السوفييت لتضاهي المشاعروالرؤى الأمريكية، ولم يكن لديهم استعداد لفعل أي شيء أكثر من تشغيل مصانع الأسلحة والحصول على المزيد من الأموال العربية، وأظهرت الوقائع من بعد أن أمريكا نظرت لمثل هذا الانتصارعلى أنه هزيمة مباشرة لها وكان لذلك انعكاسه على الساسة السوفيت الذين دفعوا في اتجاه هذا النصر، لكنهم اقتنعوا بعد ذلك أنه هزيمة للعالم بما فيه الاتحاد السوفييتي نفسه.

يسهب غوراليوف بتفاصيل أعمق وأخطر: في ساعة متأخرة من مساء ١٥ أكتوبر١٩٧٣ حل إلى موسكو في زيارة سرية وزير الخارجية الأمريكي هنري كسينجر حاملاً رسالة سرية من الرئيس الأمريكي نيكسون للرئيس بريجنيف، وبعد اجتماع دام لأكثر من ساعتين، خرج نيكسون سعيداً بالرغم من الصعوبات التي تواجهها بلاده في سيناء، وبعد ذلك أصدربريجنيف قراراً هاماً يفيد بعدم تزويد العرب بأية صور فضائية للحرب.

تسبب هذا القرارفي غضب الكثيرين داخل الكرملين، معتبرين إياه ضد المصالح السوفييتية العليا، وحتى الآن لم يبرر القادة الروس سبب هذا القرار.

وفي عام ١٩٩١ وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي، تسربت وثائق كثيرة بما فيها وثيقة الاجتماع السري بين بريجنيف وكسينجر، والرسالة التي حملها له من نيكسون.إغلاق الطريق المؤدي لتل أبيب...ويفند غورااليوف فحوى هذا اللقاء بالقول: كسينجر أخبر بريجنيف أن نيكسون ليس مستاءً من هزيمة الولايات المتحدة في سيناء ولا تهمة اهتزاز صورة أمريكا أمام العالم، بقدر خشيته على العالم من العرب إذا ما تأكد لهم ذلك، تسجيلات الفيديو لهذا اللقاء تظهر اهتمام بريجنيف لما يقوله كسينجر، وميله بشدة تجاه المترجمة ليسمع بتركيز عبارات محدثه، الذي واصل قائلا: إن مصلحة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة والعالم المتقدم، بل والعالم أجمع تتقاطع حينما يتعلق الأمر بميلاد إمبراطورية جديدة في الشرق الأوسط يقودها العرب المسلمون... أنتم في غنًى سيادة الرئيس عن تذكيركم بالتاريخ، ولستم في حاجة لتوضيح مدى خطورة ذلك على مستقبلنا ومستقبل أولادنا، فرد بريجنيف: أتطالبوننا بوقف إمدادات السلاح لمصر وسوريا؟ .

فأجابه كسينجر بسرعة: إطلاقا... لم يكن هذا أبداً مطلب الرئيس نيكسون، ولكن فقط لا تمدوهم ولا تمدوا أية جهة أخرى بالصور أو المعلومات التي توضح ما يحدث في المعركة، الولايات المتحدة تواصل الحرب، والأصدقاء السوفييت يواصلون سياساتهم، فالعرب لن يحققوا انتصارا حاسماً، وبقاء إسرائيل يخلق توازن قوى يحقق مصالحنا جميعا، نريد أن تنتهي الحرب بصيغة لا غالب ولا مغلوب، فلا أنتم تريدون انتصاراً حاسماً لإسرائيل وهذا لن يحدث، ولا نحن نريده للعرب وهذا أيضا لن يحدث، فيرد بريجنيف ضاحكاً:

ولكن لِمَ الإصرار على موضوع الصور ودباباتكم تحمل علمكم ووقودكم وذخيرتكم مدمرة في سيناء أمام أعين الجميع؟

يرد كسينجر بابتسامة دبلوماسية: سيدي الرئيس... العرب يتحركون بهمجية وشراسة كلما اتقدت عواطفهم وهذا يعقد الأمور أكثرولا يحلها، مجرد شعورهم بأنهم يحققون نصراً علينا سيزيد ذلك من مطالبهم في الحرب، وربما يفكرون في التوجه صوب تل أبيب

إنهم لن يصلوا إليها
لكنهم سيعتقدون أن الطريق إليها في المستقبل سيظل مفتوحا...
وبالفعل أغلق السوفييت الطريق إلى تل أبيب في وجه العرب.

وثيقة أخرى لمستشار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ورئيس رابطة الصداقة السوفيتية العربية سابقاً فيتسلاف موتوزوف يروي فيها: دار جدل كبيرفي الاتحاد السوفييتي عقب زيارة كسينجرلموسكو، إلا أن التحليل الدقيق للنوايا الأمريكية من وراء تلك الزيارة، جاء ليثبت صدق مبررات الرئيس الأمريكي، فتفهم بريجنيف تلك النوايا، واتبع سياسة ذكية لا تفقده ثقة العرب، حيث حمل رئيس الوزراء السوفييتي معه بعض الصور التي التقطتها الأقمار الاصطناعية، وأقول هنا البعض، حيث تم انتقاء الصور التي ليست ذات أهمية وقدمها للسادات في الزيارة التي جاءت في اليوم الرابع عشر للحرب، فلم يستفد منها المصريون عسكرياً، ولم تقدم لهم إجابة حقيقية عن حجم

الخسائر التي منيت بها الولايات المتحدة وإسرائيل في الحرب [1] دأبت الدولة العبرية علي تجنب الدخول في حرب مع العرب في أكثر من جبهة للقتال لكن نجحت القاهرة ودمشق في التنسيق معاً لبدء حرب وقتال في وقت واحد.

كان اقتحام قناة السويس في رأي كبار القادة السوفيت والأمريكان والصهاينة ضرباً من ضروب المستحيل فتجلت عظمة القادة العسكريين المصريين في التخطيط وشجاعة الجندي المصري في التنفيذ والاقتحام ليدرس هذا الاقتحام في كل معاهد العالم العسكرية وتحليل الأساليب المصرية في الهجوم والدفاع واقتحام الحصون والدشم والتحصينات ليغير الجيش المصري نظريات العالم العسكرية في الإستراتيجية والتكتيكات العسكرية.

أثبتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ فشل نظرية الحدود الآمنة لإسرائيل فقد وجهنا لهم الضربات تلو الضربات من الجبهة المصرية والسورية وهاجمنا قواعدهم الجوية ومراكز قيادتهم في العمق كما وجهنا لهم ضربات مؤثرة في شرم الشيخ وباب المندب ليسترد المقاتل العربي مكانته الجدير بها في ساحة الوغي وليثبت للعالم أجمع جدارته وموهبته الفذة في القدرة واستيعاب كل جديد ومعقد في العلم والتكنولوجيا الحديثة.

---

(١) المنتدي العربي للدفاع والتسليح

عززت حرب أكتوبر الوحدة الوطنية وأعادت إلي المصريين ثقتهم في أنفسهم وقدراتهم علي القتال والانتصار.

أكدت حرب أكتوبر علي ضرورة تأسيس صناعات عسكرية والتوسع في إنشاء مصانع عسكرية والاهتمام بالبحوث العلمية العسكرية لتحقيق اكتفاء ذاتي عربي وتدشين قوة ردع عربية نتجنب من خلالها أطماع ومؤامرات الغرب ونستفد من الأخطاء التي وقعنا فيها أثناء التعاون العربي في حرب أكتوبر منها

١. التأخير في إرسال الدعم إلي جبهات القتال مما قلل من حيويتها وتأثيرها في سير القتال.
٢. كما كان مستوي تدريب وتجهيز بعض الوحدات أقل من نظيرها المصري.
٣. عدم دراية هذه القوات بمسرح العمليات وطبيعة الأرض وجغرافيتها وطبوغرافيتها ومناخها
٤. عدم الدراية الكاملة لهذه القوات بالقوات المعادية التي تواجهها قلل من تأثيرها وقوتها.
٥. تنظيم التعاون بين القوات العربية المتجاورة ووسائل الإتصال تمت علي عجل وتحت ظرف ضاغطة أفقدها الإحترافية.

لذلك تبرز الحاجة الملحة لتدشين الجيش العربي الموحد الذي يجمع قدرات الجيوش العربية تحت قيادة واحدة تخطط وتدرب وتوحد العقيدة القتالية وتحرك وحداته إلي كل الجبهات المحتملة لدراستها والتعرف عليها.

في عام٢٠١٥ كنا علي مشارف تحقيق هذا الحلم إلي النور ولكن للأسف أجهض المشروع الأعظم في تاريخ العرب بفضل العوامل الخارجية التي حملتها رياح الغرب وإلي أن يتحقق هذا الحلم يجب أن نتوسع في إنشاء مطارات قادرة علي استيعاب طائرات دعم عربي في كافة البقاع العربية وتشجيع صناعة السلاح العربية وخاصة في مجالات الإليكترونيات والإتصالات والأقمار الصناعية والدبابات والطائرات ليكون هذا الأمر نقطة انطلاق ونواة لصناعات مدنية حديثة. بلاشك إقامة مناورات عسكرية بين الدول العربية بصفة دورية ومستمرة يحقق مكاسب عديدة يعتاد عليها أعداء الأمة فلايكون التحرك للتمركز ملفتاً لنظر العدو علاوة علي التعرف علي مسارح القتال المحتملة.

في مؤتمر القمة العربية الذي عقد بشرم الشيخ في٢٩ مارس ٢٠١٥ حدد موعداً نهائياً لإعلان وإقرار تشكيل القوة العربية الموحدة وتم فيه أعداد بروتوكول القوة العربية المشتركة وكان مقرراً التصديق عليه في اجتماع وزراء الخارجية والدفاع العرب في ٢٠١٥/٨/٢٧ لتبداء الأمة العربية عصراً جديداً من القوة والردع والتأثير ولكن تأتي الرياح العربية بمالاتشتهي سفن الغرب فمازال العرب متشبثين ومتلذذين بالتبعية الغربية.

نحن في فترة لاتسمح بالرفاهية ولانملك فيها حرية القرار أوالاختيار تشكيل قوة عربية أصبح ضرورة حتمية وملحمة في ظل الظروف التي تواجهها المنطقة ولاشك أن مفهوم الأمن القومي العربي لابد أن يتضمن مفهوماً واضحاً لمن هو العدو القائم والمحتمل والتحديات والمخاطر التي تهدد الأمن القومي العربي ويجب أن يسبق تشكيل القوة العربية الموحدة لأن هذه القوة ليست أكثر من آلية لحماية الأمن القومي العربي والدفاع عنه بالمفهوم الذي يتم الإتفاق عليه وبالتالي تحديد هذا المفهوم سيشكل عقيدتها القتالية.

فما أحوجنا في أكثر فترات التاريخ العربي التباساً وارتباكاً وتعقيداً بل وللنظام الإقليمي والعالمي عموماً ظهور هذه القوة للوجود حتي نحمي ماتبقي من أراضينا العربية.

حركت نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣ المياه الراكدة في أزمة الشرق الأوسط وانهت حالة اللاسلم واللاحرب وأبقت القضية الفلسطينية علي سطح المشاكل الدولية علي الرغم من التحركات الغيرمحمومة لإسرائيل وممارساتها العدائية والغيرأخلاقية للشعب الفلسطيني الأعزل.

أكدت حرب أكتوبر ١٩٧٣ علي أن الأمة العربية جسد واحد إذا اشتكت القاهرة تألمت دمشق وأصيبت الرياض وآنت العواصم العربية بالسهروالحمي لذلك سطر العرب ملحمة قتالية كبيرة بالمشاركة بالمال والسلاح والعتاد والمقاتلين وبقطع البترول عن الدول الداعمة لتل أبيب وبالدبلوماسية ليظهر

المعدن العربي الأصيل في هذه الحرب كنقطة مضيئة مشرفة مشرقة في تاريخ العرب القديم والحديث وأكدت علي فتح آفاق العمل العربي المشترك والتفكير بجدية لتكوين قوة ردع عربية تتحطم علي صخرتها الأطماع الغربية والصهيونية والفارسية والعثمانية الجديدة.

إنتصار أكتوبر ١٩٧٣ دفع مصر للتوجه إلي بناء جيش حديث فخلق لنا مدرسة استطاعت إعداد جيش يصنف الآن من ضمن أقوي عشرة جيوش في العالم استطاع هذا الجيش بخبراته التي اكتسبها في حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر أن يحارب فلول الإرهاب ويهزم ماسمي بالربيع العربي وخريطة الشرق الأوسط الكبير أوالجديد ويهزم دولاً سعت إلي خراب مصر وكسر إرادتها ونسوا أو تناسوا أن مصر بها خير أجناد الأرض محفوظة ومشمولة برعاية الله سبحانه وتعالي وأمنه من أرادها بسوء قصمه الله فهي أكثر دولة ذكرت في القرآن الكريم ٢٥ مرة ماين التصريح والكناية حتي أكثر من البلد الحرام قال تعالي (ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ[١]

.

وقال صلي الله عليه وسلم "إذا فتح الله عليكم مصر، فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً، فذلك الجند خير أجناد الأرض. فقال أبو بكر: ولمَ يا رسول الله؟ قال: لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة"

.

صدق رسول الله ﷺ

---

[١] الآية ٩٩ سورة يوسف

الكاتب في سطور

محمد حسن حمادة...

كاتب صحفي بصحيفة شرق وغرب اللندنية.

موقع صدي الأمة.

بوابة آخر الأسبوع الدولية.

باحث بمركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية جامعة عين شمس

الفهرس

إهـــــداء	٥
المقدمة	٦

الفصل الأول

من الإنكسار إلى الإنتصار	٩
(المبحث الأول)	
محاولة وأد الحلم وكسر إرادة الشعب المصري	٩
(المبحث الثاني)	
بطل النكسة والإستنزاف	١٢
(المبحث الثالث)	
العملاق المصري لم يركع وإرادة الشعب المصري لم تنكسر	٢٠

الفصل الثاني ٢٥

إسرائيل المنتصرة تبدو مهزومة	
المبحث الأول	
حائط الصواريخ ملحمة سقوط أسطورة الذراع الطولي لإسرائيل	٢٥
المبحث الثاني	
رائحة الموت في تل ابيب	٤٤

المبحث الثالث
مصر المهزومة تبدو منتصرة ٦٥

الفصل الثالث ٧٧

المبحث الأول
هزيمة الموساد الإسرائيلي ٧٧
المبحث الثاني
خير أجناد الأرض يشعلون القــناة بدون نابالم ٩٩

الفصل الرابع ١٠٤

العرب وجهاً لوجه ضد أولاد العم سام
المبحث الأول
العرب عندما يتحدون ١٠٤
المبحث الثاني
هنري كسينجر
" ساميّ اليهود " الجديد الذي غير دفة الحرب... ١٢١

الفصل الخامس

الجسر الأمريكي الذي أنقذ إسرائيل ١٢٥

المبحث الأول

عملية " نيكل جراس" ١٢٥

المبحث الثاني

ثغرة الدفراسوار البقعة السوداء في نصر أكتوبر. ١٣٦

الخاتمة... ١٥١

الكاتب في سطور ١٦٥

الفهرس ١٦٦